رمضان أحمد عبد ربه عصفور
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف
إمام وخطيب ومدرس بمسجد السيدة نفيسة
(سابقا)

العقيدة الإسلامية
بين القرآن والسنة

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الأولـى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م

العقيدة الإسلامية
بين القرآن والسنة



بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

سيدى يا رسول الله

بها أرسلك الله

ومن أجلها جاهدت

ونصرك الله نصرا مؤزرا

فهل تقبل منى هذا الكتاب ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا والصلاة والسلام على الرحمة المهداة. رحمة الله للعالمين صلى الله عليه وآله وصحابته والتابعين لهم بإحسان.

وبعد: كثيراً ما قرأته من كتب العقيدة بحكم تخصصى الدراسى قراءة متأنية واعية. وعرض ما قرأت منها على كتاب الله وما صح روايته من السنة. فإذا هي عبارة عن محاورات ومساجلات جدلية بين علماء علم الكلام. لم أقتنع بها إيماناً وتديناً.

ولذلك كنت خلال شغلى بالمساجد (داعية) أقوم بشرح دروس العقيدة للمسلمين من خلال القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ وما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

وكثيراً ما حدثتنى نفسى أن أكتب عقيدة الإسلام كما وردت فى الكتاب والسنة وكنت أتردد لأن هذا مسلك وعر وخطير حتى شجعنى أحد الأصدقاء المخلصين لدينهم. حتى شرح الله صدرى وأيدنى بمعونته. فكتبت عقيدة الإسلام كما فهمتها من القرآن والسنة. بعيداً عن جدال علماء الكلام وخلافات أصحاب الفرق.

وهذا كتابى (العقيدة الإسلامية بين القرآن والسنة) راجيًا الله العلى الكبير أن ينفع به كل من طالعه. وأن يجعله دعوة من أزهرى داعية لإخوانه من أهل العلم أن يكون الكتاب والسنة هما الدليل لبناء عقيدة إيمانية صافية فى قلوب المسلمين جميعا. كما أرجو الله تعالى أن يتقبل منى هذا الجهد المتواضع وأن يدخر لى ثوابه ويثيب كل من ساهم في إخراجه أو قرأه إنه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

رمضان أحمد عبدربه عصفور

كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

وإمام وخطيب ومدرس مسجد السيدة نفيسة (سابقا)



• تمهيد

« ١ »

علم الكلام والفرق الإسلامية

لقد وضع الله تعالى للإنسان المنهج قبل أن يخلقه. ولما خلقه علمه كيف يقوم بتطبيقه قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ فبعث إليه الأنبياء والمرسلين تباعًا. ليبينوا للإنسان كيف يعمل به ويسير على هدية. وكان آخر المرسلين وخاتمهم هـــو: نبينا سيدنا محمد ﷺ الذى جاء على فترة من الرسل (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين).

وقال له ربه عز وجل: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: ٢٤] وبين له مهمته فقال له: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [البقرة: ١٢٩] وأمرنا بقوله: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧] وكان أول ما أوحى إليه هو عقيدة الإسلام. عقيدة التوحيد، فوقف النبى ﷺ فى قومه ليبلغهم أمر ربه عز وجل وقال: «أيها الناس إنى لكم نذير بين يدى عذاب شديد * اشهدوا أن لا إله إلا الله محمد رسول الله» وانبذوا عبادة الأصنام وتكرر هذا البلاغ مرات. ومرات كثيرة استمرت أحد عشر عاما. ولما استقرت العقيدة فى قلوب أتباعه واستطاعوا أن يميزوا بين الحق والباطل بقوة قادرة وشجاعة نادرة وإيمان يقينى وصبور وقادر على مواجهة جحافل الشرك والطغيان. أخذ الوحى ينزل تباعا بشريعة الله تعالى وأحكامه. والنبى ﷺ لا يكل ولا يمل والصحابة الأخيار ينصرونه ويؤازرونه حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] وكانت هذه الآية إيذانا بقرب اللقاء بالرفيق الأعلى وترك الصحب الكرام على العهد ليواصلوا المسيرة المباركة. وبكى أبو بكر الصديق رضى الله عنه. وسأله الحبيب ﷺ. لم تبكى يا أبا بكر؟ ويجيب والحزن يملأ قلبه.

(لا يكون بعد الكمال إلا النقصان . وما أراك إلا مقبوضا يا رسول الله) .

ونفذا القضاء وقبض رسول الله ﷺ بعد سبعين يوما من نزول هذه الآية . وحزن المسلمون حزنًا عميقًا . ولكنهم وهم الخيرة لملموا جراحهم وانتخبوا أبا بكر ليكون خليفة رسول الله ﷺ على الأمة فكان أبو بكر رضى الله عنه خليفة ليسوس الأمة ويدبر لها أحوالها ويحمى ذمارها لقد كان خليفة على المسلمين. ولم يكن خلفا لرسول الله ﷺ لأن النبى ﷺ لا يخلفه إلا نبى مثله ورسول فى منزلته . ولذلك كان العلماء ورثة للأنبياء ولم يكونوا خلفاء لهم. لأنهم دون رتبتهم عليهم الصلاة والسلام وفى عهد الصديق رضى الله عنه أطلت الفتنة برأسها . وكانت البداية هى : ذهب المنافق الكبير والأفاق اللئيم . اليهودى الحاقد عبدالله بن سبأ إلى سيدنا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه وقال : يا عباس. يا عم رسول الله أنتم بنى هاشم أحق بهذا الأمر (الخلافة) من ابن أبى قحافة (أبو بكر) فقهم العباس خبث نيته وعرف غرضه الدنىء. وعلم أنه داعى فتنة، فنهره العباس رضى الله عنه وطرده. ولكنه لم ينته عند هذا الحد بل أخذ ينفث سمومه ويجمع حوله بعض الناس ويقول لهم فى خبث ودهاء إن على بن أبى طالب أحق بهذا الأمر.

وشغل المسلمون ومعهم خليفتهم بقتال المرتدين الذى ارتدوا عن الإسلام وانضموا إلى أتباع مسيلمة الكذاب وغيره من دعاة السوء. كما شغلوا بقتال مانعى الزكاة من بعض قبائل البادية الذين ظنوا جهلا أن الزكاة كانت جعلاً خاصًا للنبى ﷺ وقد رحل عنا النبى . فلم ندفعها؟

قاتل جيوش المسلمين الفريقين المرتدين وقتل مسيلمة ومعه خلق كثير. وعاد الباقون إلى الإسلام وتابوا وأنابوا .

وقتل من مانعى الزكاة خلق بسبب جهلهم وتاب الأكثرون بعدما فهموا أنهم على خطأ ودفعوا زكاة أموالهم لبيت مال المسلمين.

وبعض الكتاب جهلاً يظنون أن المرتدين هم مانعى الزكاة وهذا خطأ كبير لأن مانعي الزكاة لم يكفروا لجهلهم بالحكم الشرعى فى أموال الزكاة.

فى ظل هذه الظروف العصيبة التى شغل بها المسلمون كان ابن سبأ يلعب لعبته فتكونت جبهة مضادة للدولة تحت شعار الدفاع عن حقوق آل البيت . وكانت تلك هى بداية ظهور الشيعة الذين كانوا يرون أن قيام الخلافة أمر واجب وقد نص على عليّ ليكون هو الخليفة . وكان حتما لفكر هذه الجماعة رد فعل قوى عند بعض

الناس من جهلة البادية فكان ظهور الفرقة الثانية: الخوارج فالأمر في بدايته عند الشيعة والخوارج كان فكراً ومبادئ سياسية يتعلق بنظام الدولة وأسلوب اختيار الخليفة. ومرت السنوات تباعا حتى كانت خلافة الراشد ذى النورين سيدنا عثمان رضى الله عنه. فحدث تحول فى فكر الجماعتين (الشيعة والخوارج) وأخذ قادة الجماعتين يؤصل كل منهم جماعته علي أساس ديني. وأصبح الخطاب الموجه لكلا الفريقين. خطابا دينيا تمت صياغته وتحدد مضمونه من خلال فكر الجماعة دينيا وسياسيا. لأسباب عديدة ليس هذا هو مجال رصدها.

وقتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وقتل من بعده أمير المؤمنين على كرم الله وجهه واحتدم الصراع بين المسلين وتنازل أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه عن الخلافة حقنا لدماء المسلمين. واجتمع الناس على خليفة واحد هو سيدنا معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه الذى أمسك بزمام الأمور وسيطر على كل مؤسسات الدولة وأقام الدولة الأموية.

وأقول – كما قال غيرى – إن المسئول عن قتل الراشدين: عثمان وعلى هو: الشيعة والخوارج، وأخذ فكرهما ينتشر رويدا رويدا وكثر الأتباع حتى كان العصر العباسى الأول وفيه ظهرت فرقة ثالثة هى: المعتزلة أتباع وأصل ابن عطاء وظهرت الترجمة لكتب الفلاسفة والعلماء من أصحاب الأديان الأخرى واختلط الحابل بالنابل.

وكان قد تم تدوين علوم الإسلام فى العصر الأموى دون الحديث والفقه والسير والتواريخ وعلوم القرآن.

وتصارعت هذه الطوائف: الشيعة والخوارج والمعتزلة. وحدث الخلاف وكثر الجدل وظهر الانقسام فى الرأى فى أخطر قضايا الدين وهى: العقيدة وظهر الفلاسفة المسلمون (الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم) وتشعبت الآراء وتعارضت.

وقام العلماء يقاومون هذه الآراء الدخيلة على الإسلام والثقافة الدينية فكان أبو الحسن الأشعرى وأبو منصور الماتريدى وغيرهم ممن قام يدافع عن العقيدة الإسلامية فى مواجهة هؤلاء. وأطلق على أصحاب هذه الاتجاه المعتدل: أهل السنة وكثر الجدل واحتدم النقاش بين أهل السنة وهؤلاء. وكثرت المحاورات والمناظرات وألفت الكتب من كل طائفة. فظهر ما سمى: علم الكلام أو علم العقيدة أو علم أصول الدين. الذى ولد ولادة غير طبيعية خلاف العلوم الإسلامية الأخرى. إن علم الكلام هو نتاج هذه المحاورات والمناقشات والجدليات التى كانت تدور بين أتباع هذه

الطوائف والذى امتد أثرها إلى عصرنا هذا فاتباع كل طائفة من العلماء كانوا فى كل عصر ومصر يصتفون الكتب فى علم الكلام طبقًا لرؤيتهم. ولعب العقل البشرى فى هذا المجال. دورًا كبيرًا فى أمور ليست هى من موضوع شغله. لأن قضية العقيدة مصدرها هو الوحى فقط ولكن لمادس العقل أنفه فى هذا الموضوع ضل الكثير وفسق وهلك الأكثر لقد دون فى علم الكلام أقوال الطوائف وبعضها قول على الله بغير علم. ومصدره هو التعصب. وتفرق المسلمون إلى شيع وأحزاب كل منهم يدعى أنه الفرقة الناجية إن إعطاء العقل هذه المساحة الكبيرة والخطيرة من قضايا الإسلام هو خروج على المنهج الإلهى الذى نزل به القرآن الكريم وروته السنة الشريفة وإن المرء ليعجب. كان أول ما نزل علي رسول الله ﷺ هو العقيدة. وآخر ما دون من العلوم هو: علم التوحيد أو علم العقيدة أو علم الكلام أو علم أصول الدين.

ولو أن المسلمين انتيهوا فى بداية الأمر عند تدوين العلوم ودونوا العقيدة ما كنا وصلنا إلى هذا الحال. فعلم العقيدة - بوضعه الحالى - أكثره فكر بشرى فى أمر إلهى. ولعل للمسلمين الأول العذر فى عدم تدوين علم التوحيد أولاً. لأنهم كانوا على يقين: أن ذلك العلم بكل مسائلة وقضاياه منزل فى القرآن وروى فى الحديث الشريف. لهذا لم يروا هناك ضرورة لتدوين ما سمى بعلم التوحيد أو العقيدة.

لذا يجب على الأمة الإسلامية أن تعيد النظر فى الكتب المؤلفة فى علم التوحيد لأن ما تحويه هذه الكتب من افكار ليست مما نزل هى السبب فى الفرقة إلى شيع وأحزاب واتجاهات وجماعات. يلعن بعضهم بعضًا.

ليكن علماؤنا من المتخصصين فى هذا المجال فى شجاعة الأئمة: الجوينى والفخر الرازى وابن خزيمة والذهبى الذى أعلنوا براءتهم مما كتبوه فى علم العقيدة وأظهروا ندمهم وأسفهم على ذلك. وقد كانوا من فحول العلماء الذين يخوضون فى هذا المجال.

ومن قبلهم قال الأئمة الأعلام قولتهم:

قال الإمام مالك رحمه الله: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء.

وقال بعض أصحابه: إنه أراد بأهل الأهواء: أهل الكلام على أى مذهب كانوا.

وقال الإمام مالك أيضًا: علماء الكلام زنادقة.

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه: إذا سمعت الرجل يقول: الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له.

وقال: لو علم الناس ما يحل بالعالم بالكلام من العذاب لفروا منه كما يفر الإنسان من الأسد.

وقال: الكلام يلعن أهل الكلام.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: علماء الكلام زنادقة.

وقال الإمام سفيان بن عيينة: من طلب العلم بالكلام تزندق.

وقال الحسن البصرى: لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم.

وأقول: إن علم الكلام أو علم العقيدة يجب أن تنقى كتبه مما أدخل عليه من أقوال ومباحث لم تنزل فى الكتاب ولم ترد فى السنة الصحيحة لأن هذه الأفكار البشرية هى التى شكلت فكر بعض الاتجاهات وادعت جهلاً أن ذلك هو فكر السلف. والسلف الصالح منه براء.

إن المشكلة الحقيقية للمسلمين فى هذه الأيام هى كتب علم الكلام وليس علم الفقه الإسلامى الذى يطالب البعض - جهلاً - بتطويره أو تبديله المشكلة وأقولها مرات تكمن فى كتب علم الكلام والعقيدة.

وأقول: رحم الله علماء الكلام لقد أتعبوا أنفسهم وأتعبوا من جاء من بعدهم غفر الله لنا ولهم أجمعين.

* * *

« ٢ »

مصادر العقيدة فى الإسلام

إن مصادر العقيدة فى الإسلام أصول ثلاثة هى:

الأصل الأول: القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للعقيدة فى الإسلام. وعلى هذا أجمعت الأمة فى كل عصر ومصر. ولا ينازع فى هذا إلا جاهل أو معاند.

الأصل الثاني: السنة الشريفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وروى فى الحديث: «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه وروى الإمام الترمذى وغيره أن النبى ﷺ قال: تركت فيكم ما لو تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى».

وروى الشيخان عن عمر رضى الله عنه في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام أنه سأل النبى ﷺ: ما الإيمان؟ قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه وأن تؤمن بالقدر خيره وشره).

فالحديث المتواتر: لا خلاف بين علماء المسلمين على وجوب الاستدلال به في العقيدة أما خبر الآحاد: فإنهم قالوا لا يستدل به فى العقائد منفردا إلا إذا كان مسنودا بنص آخر. ولذلك نجد الإمام البخارى فى الصحيح فى كتاب التوحيد: يذكر الآية من القرآن ثم يروى الحديث الوارد فى الموضوع. فيكون دور خبر الآحاد هنا هو التأكيد على موضوع الآية.

الأصل الثالث: الإجماع. والمراد به إجماع علماء الأمة علي صحة معنى من المعانى التى يفهمونها من الأصلين الأولين أو من أحدهما.

والإجماع أصل من أصول الشريعة ودليل ذلك قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء: ١١٥].

والحديث: «لا تجتمع أمتى على ضلالة».

أما القياس والاجتهاد والاستحسان وغيرها من أدلة الفقه الإسلامى فإنها لا تفيد فى العقائد. وما شقى علماء الكلام إلا باستخدامهم للقياس والاجتهاد فى بحوث العقيدة. فقاسوا مالله على ما هو للخلق. فبرزت المشبهة والنافية والمعطلة والمرجئة والزندقة وكلهم قالوا على الله ورسوله قولاً بغير علم فى آيات الأسماء والصفات والقرآن والرؤية وفى السمعيات. وكلها أمور لا يتحدث عنها إلا الوحى. والوحى فقط هذا والأصلان الأخيران (السنة والإجماع) يرجعان إلى القرآن لأنه الأصل الأول والأساس فى معرفة مضمون ومحتويات العقيدة فى الإسلام. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

* * *

« ٣ »

السلفية المعاصرة

السلفية ليست مذهبًا إسلاميًا وإنما هي فترة زمنية مباركة.

فالسلف هم الجماعة المتقدمون من الناس. قال الله عز وجل ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٦].

قال الفراء: يقول: جعلناهم سلفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون.

وقال الجوهري: وسلف الرجل آباؤه المتقدمون. والجمع أسلاف. وسلاف وقال ابن منظور بعد أن ذكر بعض معاني السلف: وللسلف معنيان آخران:

أحدهما: أن كل شيء قدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه فهو له سلف وقد سلف له عمل صالح. والسلف أيضًا من تقدمك في الحسن والفضل وأحدهم سالف ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مضوا سلفًا قصد السبيل عليهم وصرف المنايا بالرجال تقلب

المراد أنهم تقدمونا وقصد سبيلنا عليهم. أي نموت كما ماتوا. فنكون سلفًا لمن بعدنا كما كانوا سلفًا لنا. وفي الدعاء: واجعله سلفًا لنا.

ثم قال: وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته. ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح أ. هـ لسان العرب.

وهذا يعني سلف الأمة هم من تقدموا من أصحاب القرون الماضيه وأصبحوا أثرًا بعدعين. هذا إذا وردت كلمة السلف غير مقيدة بوصف ما.

أما إذا أوردت مقيدة فهي تعطي معنى خاصًا. فقط (السلف الصالح) يطلق ويراد به أولئك الذين تقدموا وسبقونا من أصحاب القرون الماضية الذين عاشوا حياتهم متمسكين بكتاب الله تعالى وعاملين بسنة نبيه ﷺ اعتقادًا وعملاً وعلمًا ومنهاجًا وسلوكًا وأدبًا(١).

في السنوات الأخيرة من القرن الماضي ظهرت جماعات من الناس أطلقوا على أنفسهم (السلفيون) وهذا الوصف مخالف لمدلول الكلمة. وهؤلاء قد حملوا أفكارًا

(١) كتابنا: قضايا إسلامية معاصرة: ١٧، ١٨.

عقدية ورثوها عن كبرائهم من المشبهة والمجسمة. واستولوا بفكرهم على عقول الشباب في غيبة من العلماء. ويتكون فكرهم مما يلى:

أولاً: قالوا بالتجسيم وحددوا لله جهة ومكانًا ووصفوه بما لم يصف به نفسه.

ثانيًا: زيفوا المقالات وطبعوا الكتيبات والرسائيل والأشرطة التى تحمل أفكارهم ليصرفوا بها المسلمين عن كتب التراث حتى لا تظهر فضائحهم.

ثالثًا: كفروا المجتمع أفرادا أو جماعات لمجرد شبهة فى قول أو فى فعل وكفروا الحكومات الإسلامية.

رابعًا: انصرفوا عن العلماء وعابوهم والصقوا بهم التهم والافتراءات وعارضوهم.

خامسًا: هاجموا أولياء الله وقالوا فيهم زيفًا وزورًا وأنكروا كراماتهم.

سادسًا: اتهموا المتصوفة بالزندقة والشرك.

سابعًا: حرموا السفر لزيارة الرسول ﷺ بنية الزيارة وحرموا زيارة الصالحين وأصحاب الأضرحة واتهموا زائريهم بالشك والشرك.

ثامنًا: حرموا التوسل برسول الله ﷺ وسائر الصالحين وقالوا إن ذلك شرك وكفروهم.

تاسعًا: قالوا إن اتباع المذاهب الفقهية شرك يجب التخلص منه. وادعوا لانفسهم اجتهادًا.

عاشرًا: يتناولون المتشابه من القرآن والسنة مؤولين لانهم من الراسخين هم وعلماؤهم.

حادى عشر: رفعوا شعار الجهاد ضد الحكومات الإسلامية لأنها حكومات كافرة.

ثانى عشر: إظهار روح التزمت والتعصب والتمسك بآراء كبرائهم لأنهم وحدهم هم الذين يفهمون الإسلام حتى أنهم قدموا علماء مغمورين على أئمة أعلام.

فهذه الأمور مجرد أمثلة مما هم عليه من الإيمان بافكار منحرفة اقتبسها سادتهم من أفكار الخوارج والمعتزلة والشيعة والقدرية. وقالوا نحن دعاة السلفية. والسلف الصالح منهم براء.

هدانا الله وإياهم للعمل بما يرضيه

* * *

« ٤ »

قرآن وسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر الفرد لا يعرفه منا أحد . ودنا من النبى ﷺ ثم جلس ووضع يديه على فخذيه وأسند ركبتيه إلى ركبتيه . ثم قال يا محمد . ما الإسلام؟

قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه .

ثم قال : ما الإيمان؟

قال : الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه وأن تؤمن بالقدر خيره وشره . فقال : صدقت .

ثم قال : ما الإحسان؟

قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : صدقت .

قال : متى الساعة؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا تطاول رعاه الإبل البهم العالة فى البنيان وأن تلد الأمة ربتها ثم قال : خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى ثم قرأ : **﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾** .

يقول عمر : فلبثنا مليا ثم قال النبى ﷺ ردوه على . فلم نجده فقال : أتدرون من هذا؟ قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم [رواه البخارى ومسلم] .

* * *

الفصل الأول

الإيمَان والإسْلامَ

(١) **الإيمان لغة**: التصديق.

وشرعاً: تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه عز وجل وهو: قول وفعل. ويزيد وينقص. حكى الشافعي اجماع الصحابة والتابعين عليه فأما القول: فالمراد به. النطق بالشهادتين. وأما الفعل. فالمراد به:

ما هو أعم من عمل القلب والجوارح. ليدخل الاعتقادات والعبادات.

ومراد من أدخل ذلك في تعريف الإيمان. ومن نفاه: إنما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى.

فالسلف قالوا: هو اعتقاد بالقلب. ونطق باللسان. وعمل بالأركان وأرادوا بذلك: أن الأعمال شرط في كماله.

ومن هنا نشأ لهم القول. بالزيادة والنقص في الإيمان.

يقول الشيخ ابن بطة العكبرى رحمه الله تعالى: فاعلموا رحمكم الله. أن الإيمان إنما هو نظام اعتقادات صحيحة. بأقوال صادقة. وأعمال صالحة. بنيات خالصة. بسنن عادلة. وأخلاق فاضلة. جمع الله فيها لعباده مصالح دنياهم وآخرتهم. ومراشد عاجلهم وآجلهم. وذلك أن الناس قد جبلوا – في نقصان عقولهم وحجرها – عن الإحاطة بحقائق الأشياء والوفاء بالإدراك لكل ما فيه الفائدة والمصلحة. ومن استيلاء شهواتهم. واحتكام أهوائهم بعدت عليهم سبل مراشدهم. واستغمضت عليهم مخارج هداياتهم. وذلك موضوع في جبلتهم. فلو وُكّل كُل منهم إلى نظره وفكره ورأيه وتدبيره واختياره فيما يؤثره من السير والمذاهب والشيم والخلائق. لكان واجباً لامحالة أن يظهر عجزه عن كفاية نفسه وحاجتها من أبواب الرشاد من إعطائها حظها من دواعي الصلاح الذى فيه رضا خالقها. ونجاتها من هلكتها.

فلما علم الله تعالى ذلك منهم. كفاهم برحمته ورأفته المؤونة. وأعظم بلطفه وجوده المعونة. فأمدهم في كتبه وعلى ألسن رسله بوظائف من الأمر والنهي. بين لهم فيها ما يأتون وما يذرون. ووفقهم على ما يرتكبون ويجتنبون. ليكون كل أحد من عباده المؤمنين – قويت خبرته في النظر والاختيار أو ضعفت وكملت آلته في المعرفة

والتمييز أو نقصت – معرضا لحظ يصل إليه من مراشده يتوفر عليه من منافعه. فيكون الجميع منهم فى ضمن فضله ورحمته اللذين وسعا كل شىء كما وصف نفسه تعالى من ذلك. فقال: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ٨٣] ولتكون حجته مع ذلك بالإرشاد والبينة لازمة لكل مأمور ومنهى. وفرضه مؤكدًا على كل ميسر مكلف. والدين وإن كان قد انتظم فى نفسه جميع ما وصفناه فليس يقف الكل على موضع هذه الفضائل فيه من أحكامه وشرائعه وموضع هذه المصالح من مفروضه وأوامره. لكنهم يستبقون فى ذلك ويتفاضلون على حسب مراتب المعقول وتوفيق البارى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لهم[1]. أ. هـ وأما المرجئة فإنهم قالوا: هو اعتقاد ونطق فقط.

والكرامية قالوا: هو نطق فقط.

والمعتزلة قالوا: هو العمل والنطق والاعتقاد. والفارق بينهم وبين السلف أنهم – المعتزلة – جعلوا الأعمال شرطًا فى صحته. والسلف جعلوها شرطاً فى كماله. وهذا كله كما قلنا بالنظر إلى ما عند الله تعالى.

أما بالنظر إلى ما عندنا. فالإيمان هو الإقرار فقط. فمن أقر أجريت عليه الأحكام فى الدنيا. ولم يحكم عليه بكفر إلا إن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم، فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق. فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره، ومن نفى عنه فبالنظر إلى حقيقته.

وأثبتت المعتزلة الواسطة. فقالوا: الفاسق لا مؤمن ولا كافر[2].

الإيمان يزيد وينقص:

ذهب السلف إلى أن الإيمان يزيد وينقص. وأنكر ذلك أكثر المتكلمين، وقالوا: متى قبل ذلك كان شكا. وهو قول ليس عليه دليل. ويعارضه الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) الإبانة جـ/ ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) فتح البارى. جـ١ ص ٦٤.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧].

وقال: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت تكتة سواء فى قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها قلبه فإن زاد زادت حتى يعلو قلبه. فذلك الران الذى قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١) [المطففين: ١٤].

وروى أصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن. ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. والتوبة بعد معروضة».

وروى الهزيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم».

وروى ابن أبى شيبة فى الإيمان. وأبو عبيد عن عبدالله بن عمرو بن هند الجملى قال: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: «إن الإيمان يبدو كمظلة بيضاء فى القلب كلما زاد الإيمان. زاد البياض. فإذا استكمل الإيمان أبيض القلب وإن النفاق يبدو كمظلة سوداء فى القلب كلما زاد النفاق زاد ذلك السواد. فإن استكمل النفاق أسود القلب كله. وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود».

وروى الآجرى فى الشريعة: أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول: الإيمان يزيد وينقص. وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

---

(١) ورواه أحمد فى المسند وابن بطه فى الإبانة.

وروى ابن بطه العكبرى أن عمير بن حبيب رضى الله عنه قال: الإيمان يزيد وينقص. قيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله فحمدناه وسبحناه فتلك زيادته. وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه.

وقال البغوى فى شرح السنة: اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان. وقال: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1].

ونختم هذه الفقرة بما رواه البخارى فى الصحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة. الجنة. وأهل النار النار. ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبه من خردل من إيمان. فيخرجون منها قد اسودوا. فيلقون فى نهر الحيا. أو الحياة شك مالك - فينبتون كما تنبت الحِبّة فى جانب السيل. ألم ترأنها تخرج صفراء ملتوية». قال وهيب: حدثنا عمرو «الحياة» وقال: «خردل من خير».

وروى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم. رأيت الناس يعرضون علىَّ. عليهم قُمُص. منها ما يبلغ الثدى. ومنها ما دون ذلك. وعرض علىَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره» قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدين».

الإستثناء فى الإيمان:

يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه. فى الفقه الأكبر:

واعلموا أن قول أهل السنة والجماعة. أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ليس فيه شك فى الإيمان الحاصل الحاضر لهم. وإنما الشك فى الإيمان المثاب عليه - العمل - فذلك منوط بالعاقبة - أى الخاتمة - والعاقبة مغيبة عنا. فالشك واقع فى المغيب لا فى الحاصل الموجود.

ويقول الآجرى فى كتابه «الشريعة»[2].

من صفة أهل الحق ممن ذكرنا من أهل العلم. الاستثناء فى الإيمان لا على سبيل الشك. نعوذ بالله من الشك فى الإيمان. ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان. لا يدرى أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا. وذلك أن أهل العلم من أهل

---

(١) الإمام الشافعى والفكر السلفى. ص ٣٠.

(٢) ص ١٣٦

الحق إذا سئلوا أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وأشباه هذا. والناطق بهذا والمصدق به بقلبه. مؤمن وإنما الاستثناء فى الإيمان: لا يدرى أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا.

هذا طريق الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الأعمال الموجبة الحقيقة الإيمان والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون وبه يتناكحون وبه تجرى أحكام صلة الإسلام. أ.هـ.

وقد خالف فى هذا بعض أهل العلم وقالوا. إن ذلك شك فى الإيمان ولكن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة على جوازه وكذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ** ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقال سبحانه وتعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿ **أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا** ﴾ [الأنعام: ٨٠].

وقال تعالى على لسان سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿ **وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا** ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وروى مسلم ومالك وأحمد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

وروى قتادة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: من زعم أنه مؤمن فهو كافر. ومن زعم أنه فى الجنة فهو فى النار. ومن زعم أنه عالم فهو جاهل قال: فنازعه رجل فقال: إن تذهبوا بالسلطان فإن لنا الجنة قال: فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زعم أنه فى الجنة فهو فى النار».

وروى الحسن: أن رجلاً قال عند عبدالله بن مسعود: إنى مؤمن.

فقيل لابن مسعود: إن هذا يزعم أنه مؤمن قال: فاسألوه. فى الجنة هو أوفى النار؟ فقال: الله أعلم. فقال له عبدالله: فهلا وكلت الأولى كما وكلت الآخرة.

وروى أبو نعيم فى الحلية عن يحيى بن أبى كثير أن النبى ﷺ قال: «من حتم على الله أكذبه».

وروى الآجرى عن على بن بحر قال: سمعت جرير بن عبدالحميد يقول: كان الأعمش ومنصور ومغيرة وليث وعطاء بن السائب وإسماعيل بن أبى خالد وعمارة بن القعقاع والعلاء بن المسيب وابن شبرمة وسفيان الثورى وأبو يحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله. ويعيبون من لا يستثنى.

وأقول: فهذه سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء لايدرون كيف أحوالهم عند الله ولا كيف أعمالهم أمقبولة هى أم مردودة قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧].

وأخبر عن عبده الصالح سليمان عليه السلام فى مسألته إياه: ﴿ **وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا** ﴾ [النمل: ١٩].

أفلا تراه كيف يسأل الله الرضا منه بالعمل الصالح لأنه قد علم أن الأعمال ليست بنافعة وإن كانت فى منظر العين صالحة إلا أن يكون الله عز وجل قد رضيها وقبلها. فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير وأعمال البر كلها مرضية وعنده زكية ولديه مقبولة؟

هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مغتر بالله نعوذ بالله من الغرة بالله والإصرار على معصية الله.

أما ترون رحمكم الله إلى الرجل من المسلمين قد صلى الصلاة فأتمها وأكملها وربما كانت فى جماعة وفى وقتها وعلى تمام طهارتها فيقال له: صليت؟

فيقول: قد صليت إن قبلها الله. وكذلك القوم يصومون شهر رمضان فيقولون: فى آخره: صمنا إن كان الله قد تقبله منا.

وكذلك يقول من قدم من حجه بعد فراغه من حجه وعمرته وقضاء جميع مناسكه إذا سئل عن حجه إنما يقول: قد حججنا ما بقى غير القبول. وكذلك دعاء

(١) رواه ابن بطه العكبرى عن شيخه. الإبانة جـ ١ ص ٣٦٩، ٣٧٠.

الناس لأنفسهم ودعاء بعضهم لبعض: اللهم تقبل صومنا وزكاتنا وبذلك يلقى الحاج فيقال له: قبل الله حجك وزكى عملك وكذا يتلاقى الناس عند القضاء شهر رمضان فيقول بعضهم البعض: قبل الله منا ومنك.

بهذا مضت سنة المسلمين وعليه جرت عاداتهم وأخذ خلفهم عن سلفهم فليس يخالف الاستثناء فى الإيمان ويأبى قبوله إلا رجل خبيث مرجىء ضال قد استحوذ الشيطان على قلبه نعوذ بالله منه. أ. هـ.

أسأل الله عز وجل أن يوفقني والمسلمين لعمل الصالحات وأن يتقبل منا عملنا وأن يعفو عنا ويغفر لنا الذنوب والآثام وأن يثبتنا بالقول الثابت فى الدنيا وفى الآخرة إنه هو الغفور الرحيم.

شعب الإيمان:

إن أمور الإيمان وشعبه كثيرة. ورد ذكرها فى كثير من آيات القرآن الكريم وفى السنة الصحيحة.

قال الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال عز جل: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٢ – ٢٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ *

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان».

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما: أن رجلاً سأل النبى ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

وروى أيضًا عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شبعة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان).

قال البخارى: جعل ذلك كله من الإيمان.

وقد قام بعض العلماء بمحاولة حصر هذه الشعب وتسجيلها فى مصنفات منهم الإمام البيهقى فقد صنف فى الشعب كتابه القيم شعب الإيمان فى مجلدات وكذلك فعل غيرهما. كما روى عن الضحاك بن مزاحم الذى سرد شعب الإيمان دون شرح لها فقال رحمه الله تعالى: إن أحق ما بدأ به العبد من الكلام. أن يحمد الله ويثنى عليه. فالحمد لله نحمده ونثنى عليه بما اصطنع عندنا أن هدانا للإسلام وعلمنا القرآن ومن علينا بمحمد عليه السلام. وأن دين الله الذى بعث به نبيه ﷺ هو الإيمان. والإيمان هو الإسلام. وبه أرسل المرسلون قبله. فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. والتصديق والإقرار بما جاء من الله والتسليم لقضائه وحكمه والرضا بقدره.

وهذا هو الإيمان. ومن كان كذلك فقد استكمل الإيمان. ومن كان مؤمنا حرم

الله ماله ودمه. ووجب له ما يجب على المسلمين من الأحكام. ولكن لا يستوجب ثوابه ولا ينال الكرامة إلا بالعمل فيه. واستيجاد ثواب الإيمان عمل به. والعمل به: اتباع طاعة الله تبارك وتعالى فى آداء الفرائض واجتناب المحارم والاقتداء بالصالحين. وإقام الصلاة وإتياء الزكاة وصوم رمضان. وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ومحافظة على إتيان الجمعة. والجهاد فى سبيل الله والاغتسال من الجنابة وإسباغ الوضوء وحسن الوضوء للصلاة والتنظيف. وبر الوالدين وصلة الرحم وصلة ما أمر الله به أن يوصل. وحسن الخلق مع الخطاء. واصطناع المعروف إلى الأقرباء. ومعرفة كل ذى حق حقه من والد فوالدة فولده. فذى قرابة فيتيم مسكين فابن سبيل. فسائل. فغارم. فمكاتب. فجار. فصاحب فما ملكت اليمين. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والحب فى الله تعالى. والبغض فى الله. وموالاة أوليائه، معاداة أعدائه. والحكم بما أنزل الله وطاعة ولاة الأمر. والغضب والرضا. ووفاء بالعهد وصدق الحديث ووفاء بالنذور. وإنجاز الموعود وحفظ الأمانة من كتمان السر أو المال وأداء الأمانة إلى أهلها. وكتاب الدَّيْن المؤجل بشهادة ذوى عدل.

والاستشهاد على المبايعة وإجابة الداعى للشهادة وكتابة بالعدل كما علم الله. وقيام الشهادة على وجهها بالقسط ولو على النفس والوالدين والأقربين ووفاء الكيل والميزان بالقسط. وذكر الله تعالى عند عزائم الأمور. وذكر الله تعالى على كل حال وحفظ النفس وغض البصر وحفظ الفرج وحفظ الأركان كلها عن الحرام وكظم الغيظ ودفع السيئة بالحسنة والصبر على المصائب. والقصد فى الرضا والغضب والاقتصاد فى المشى والعمل. والتوبة إلى الله تعالى من قريب والاستغفار للذنوب. ومعرفة الحق وأهله. ومعرفة العدل إذا رأى عاملة. ومعرفة الجور إذا رأى عامله. كما يعرفه الإنسان من نفسه إن هو عمل به. ومحافظة على حدود الله. ورد ما اختلف فيه من حكم أو غيره إلى عالمه. وجَسُور على ما لم يختلف فيه من قرآن منزل. وسنة ماضية فإنه حق لا شك فيه. وردَ ما يتورع فيه من شيء إلى أولى الأمر الذين يستنبطونه منهم. وترك ما يريب إلى ما لا يريب. واستئذان فى البيوت. فلا يدخل البيت حتى يستأذن ويسلم على أهله من قبل أن ينظر فى البيت أو يستمع فيه. فإن لم يجد فيه أحدا فلا يدخل بغير إذن أهلها. فإن قيل: ارجعوا. فالرجوع أزكى. وإن أذنوا فقد حل الدخول. وأما البيوت التى ليس فيها سكان وفيها المنافع لعابر السبيل أو لغيرهم. يسكن فيها ويتمتع فيها. فليس فيها استئذان. واستئذان ما ملكت اليمين صغيراً أو كبيراً. ومن

لم يبلغ الحلم من حرمة أهل البيت ثلاث أحيان من الليل والنهار أو آخر الليل قبل الفجر وعند القيلولة إذا خلا رب البيت بأهله. ومن بعد صلاة العشاء إذا أوى لبيت وأهله إلى مضاجعهم. وإذا بلغ الأطفال من حرمة أهل البيت الحلم فقد وجب عليه من الاستئذان كل هذه الأحيان. واجتناب قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق. واجتناب أكل أموال الناس بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم. واجتناب أكل أموال اليتامى ظلماً. واجتناب شرب الخمر واجتناب شرب الحرام من الأشربة والطعام. واجتناب. أكل الربا والسحت. واجتناب أكل القمار والرشوة والغضب واجتناب النجس والظلم. واجتناب كسب المال بغير حق. واجتناب التبذير والنفقة فى غير حق. واجتناب التطفيف فى الوزن والكيل واجتناب نقص المكيال والميزان. واجتناب نكث الصفقة وخلع الأئمة. واجتناب الغدر والمعصية. واجتناب اليمين الآثمة. واجتناب برّ اليمين بالمعصية واجتناب الكذب والتزيد فى الحديث. واجتناب شهادة الزور واجتناب قول البهتان. واجتناب التجسس واجتناب سوء الظن بالصالحين والصالحات. واجتناب الإصرار على الذنب والتهاون به. وإتقاء الإمساك عن الحق والتمادى فى الغى والتقصير عن الرشد واتقاء الكبر والفخر والخيلاء واتقاء الفجور والمباراة بالشر. واتقاء الإعجاب بالنفس واتقاء الفرح والمرح والتنزه من لفظ السوء والتنزه عن الفحش وقول الخنا والتنزه من سوء الظن. والتنزه من البول والقذر كله.

فهذه صفة دين الله وهو الإيمان وما شرع الله فيه من الإقرار بما جاء من عند الله. وبين من حلاله وحرامه. وسننه وفرائضه قد سمى لكم ما ينتفع به ذوو الألباب من الناس. وفوق كل ذى علم عليم. ويجمع كل ذلك التقوى. فاتقوا الله واعتصموا بحبله ولا قوة إلا بالله. أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما نبلغ به رضوانه وجنته[١]. أ. هـ.

ويعلق الشيخ ابن بطة العكبرى على مقالة الضحاك فيقول:

فهذه إخوانى رحمكم الله شرائع الإيمان وشعبة وأخلاقه – المؤمنين الذين من كملت فيهم كانوا على حقائق الإيمان وبصائر الهدى وإمارات التقوى. فكلما قوى إيمان العبد وازداد بصيرة فى دينه وقوة فى يقينه. تزيدت هذه الأخلاق وما شاكلها فيه ولاحت أعلامها وإماراتها فى قوله وفعله. فكلها قد نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة وشهد بصحتها العقل الذى أعلى الله رتبته ورفع منزلته وأفلج حجته وعلى قدر

---

(١) الإبانة لابن بطه: ١/ ٢٦٠ – ٢٦٢.

نقصان الإيمان في العبد وضعف يقينه يقل وجدان هذه الأخلاق فيه وتعدم من أفعاله وسجاياه. وفقنا الله وإياكم لموجبات الرضا والعاقبة فى الدارين من جميع البلاء[1] .أ.هـ.

إن خصال الإيمان وشعبه كلها ثابته بالكتاب والسنة أو بالكتاب فقط أو بالسنة فقط. وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

منها ما هو قول باللسان. ومنها ما هو عمل بالجوارح. ومنها ما هو قائم بالقلب.

أركان الإيمان:

وأركان الإيمان كما ورد فى القرآن الكريم فى صحيح السنة ستة هى:

١ - الإيمان بالله تعالى الخالق الرزاق ذو القوة المتين.

٢ - الإيمان بالملائكة. وهم أجسام نورانية قادرة على التشكل بجميع الأشكال الحسنة فقط. لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون.

٣ - الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين إجمالا. والإيمان بالقرآن الكريم تفصيلاً.

٤ - الإيمان بان الله تعالى قد بعث رسلا وأنبياء كثيرين ذكر فى الكتاب والسنة منهم خمسة وعشرين. والإيمان بأنهم قد ختموا بسيد البشر سيدنا محمد ﷺ وعليهم وسلم تسليماً كثيراً.

٥ - الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الموت وسؤال القبر ونعيمه وعذابه والبعث والحشر والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار.

٦ - الإيمان بقضاء الله وقدره. إن المخلوقات بجميع أنواعها وأشكالها وما يقع منها أو يقع عليها إنما هو كله بقضاء الله وقدره.

والشواهد والأدلة من القرآن والسنة على ذلك كثيرة. وسوف نتعرض لها فى مباحث مقبلة.

(٢) وأما الإسلام لغة:

فهو عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد وترك التمرد والإباء والعناد.

---

(١) الامانة لابن بطه: ١/ ٢٦٠ - ٢٦٢.

ومن قول الله عز وجل: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤].

وشرعًا: هو الانقياد والخضوع لما جاء به الشارع الشريف من الأوامر والنواهي قولاً كانت أو فعلاً.

والملاحظ أنه لا فرق يذكر بين المعنى اللغوى والمعني الشرعى وأركانه خمسة هي:

١ – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

٢ – إقام الصلاة.

٣ – ايتاء الزكاة.

٤ – صوم رمضان.

٥ – حج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

روى مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» وبعض الرويات عند أصحاب السنن تقدم الصوم على الحج وهذه الأركان ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

(٣) العلاقة بين الإيمان والإسلام:

اختلف الأئمة والعلماء من سلف الأمة. هل الإيمان والإسلام اسمان لشىء واحد. أم هما متغايران؟

قال بالرأى الأول جماعة. واختار الرأى الثانى جماعة أخرى وممن ذهب إلى الأخذ بالرأى الأول: الإمام الشافعى رضى الله عنه والإمام البخارى رضى الله عنه. والإمام محمد بن نصر المروزى رضى الله عنه وكثير غيرهم. ودليلهم. قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ومن ذهب إلى الأخذ بالرأى الثانى: الإمام الزهرى قال: الإسلام هو الكلمة. والإيمان هو العمل. وقال به أيضاً: الإمام أحمد بن حنبل وابن منده قال عبدالملك الميمونى: سألت أحمد بن حنبل. أتفرق بين الإيمان والإسلام؟ فقال لى: نعم، قلت له: بأى شىء تحتج؟

قال لي: قال الله عز وجل: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال: وأقول: مؤمن إن شاء الله. وأقول مسلم ولا أستثنى فالإيمان والإسلام إسمان لمسمى واحد عند الإمام الشافعي رضى الله عنه[١] والحق فى هذا الأمر. أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد. وورد على سبيل الاختلاف. وورد على سبيل التداخل.

أما الترادف ففى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد.

وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال ﷺ: «بنى الإسلام على خمس...»[٢] الحديث وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس[٣] وأما الاختلاف: فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ ومعناه: استسلمنا فى الظاهر.

فأراد بالإيمان ههنا: التصديق بالقلب وبالإسلام: الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح. وفى حديث جبريل عليه السلام لماسأ له عن الإيمان فقال: (أن تؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره. فقال: فما الإسلام؟ فأجاب بذكر الخصال الخمس) بعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفى الحديث عن سعد أنه ﷺ. أعطى رجلاً عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد: يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال ﷺ أو مسلم؟ فأعاد عليه. فأعاد رسول الله ﷺ[٤].

وأما التداخل: فما روى أيضاً أنه سئل: فقيل: أى الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: (الإسلام) فقال: أى الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: (الإيمان).

---

(١) الإمام الشافعي والفكر السلفي: ٣٧، ٣٨. (٢) أخرجاه من حديث ابن عمر.

(٣) قصة وفد عبدالقيس والحديث فى الصحيحين (تدرون ما الإيمان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. الحديث.

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل. وهو أوفق الاستعمالات في اللغة[١]. أ. هـ.

ومذهب الإمام البخاري رحمه الله تعالى: أن الإيمان هو الإسلام وأنه يدخل في مسمى الإسلام[٢].

وأما المحققون من العلماء فإنهم يرون أن[٣]: كل مؤمن مسلم. فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه. قام بأعمال الإسلام كما قال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام. وليس كل مسلم مؤمنا. فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا فلا يتحقق القلب به تحقيقا تاما مع عمل جوارحه أعمال الإسلام. فيكون مسلمًا. وليس بمؤمن الإيمان التام. كما قال تعالى: ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا** ﴾ فلم يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين - وهو قول ابن عباس وغيره - بل كان إيمانهم ضعيفًا. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا** ﴾ يعني: لا ينقصكم من أجورها فدل على أن معهم من الإيمان ما يقبل به أعمالهم.

وكذلك قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص لما قال له: لم تعطى فلانا وهو مؤمن؟ فقال ﷺ: أو مسلم.

يشير إلى أنه لم يتحقق مقام الإيمان. فإنما هو في مقام الإسلام الظاهر ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا. لكن اسم الإيمان ينفى عمن ترك شيئًا من واجباته. كما في قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

وقد اختلف أهل السنة. هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان؟ أو يقال: ليس بمؤمن؟ لكنه مسلم. على قولين وهما روايتان عن أحمد.

وأما اسم الإسلام. فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته. وإنما ينفى بما ينافيه بالكلية.

---

(١) إحياء علوم الدين: ١/ ١٣٨، ١٣٩.

(٢) هامش الإبانة لابن بطة

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي: ٣٥ - ٣٨.

ولا يعرف فى السنة الصحيحة نفى الإسلام عمن ترك شيئًا من واجباته كما ينفى الإيمان عمن ترك شيئًا من واجباته . وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أحيانا .

وقد اختلف العلماء : هل يسمى مرتكب الكبائر كافرًا كفرًا صغيرًا . أو منافقًا النفاق الأصغر؟ ولا أعلم أن أحدا منهم أجاز إطلاق نفى الإسلام عنه . إلا أنه روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ما تارك الزكاة بمسلم . ويحتمل أنه كان يراه كافرًا بذلك خارجًا عن الإسلام .

وكذلك روى عن عمر – رضى الله عنه – فيمن تمكن من الحج ولم يحج . أنهم ليسوا بمسلمين . والظاهر أنه كان يعتقد كفرهم . ولهذا أراد أن يضرب عليهم الجزية بقوله : لم يدخلوا فى الإسلام بعد . فهم مستمرون على كتابيتهم[1] وإذا تبين أن الإسلام لا ينتفى إلا بوجود ما ينافيه ويخرج عن الملة بالكلية . فاسم الإسلام إذا أطلق أو اقترن به المدح دخل فيه الإيمان كله من التصديق وغيره . كما سبق فى حديث عمرو ابن عنبسة[2] وخرج النسائى من حديث عبيد بن مالك : أن النبى ﷺ بعث سرية فغارت على قوم . فقال رجل منهم : إنى مسلم . فقتله رجل من السرية .

فنمى الحديث إلى رسول الله ﷺ . فقال فيه قولاً شديداً فقال الرجل : إنما قالها تعوذا من القتل . فقال النبى ﷺ : « إن الله أبى على أن أقتل مؤمنا » – ثلاث مرات .

فلولا أن الإسلام المطلق يدخل فيه الإيمان والتصديق بالأصول الخمسة لم يصر من قال : أنا مسلم . مؤمنا بمجرد هذا القول .

وقد أخبر الله تعالى عن ملكة سبأ أنها دخلت فى الإسلام بهذه الكلمة (قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وأخبر عن يوسف عليه السلام . أنه دعا أن يموت على الإسلام .

---

(١) إن قولى ابن مسعود وعمر رضى الله عنهما يتحققان فيمن ترك واجبًا من واجبات الإسلام وهو منكر لمشروعية . أما إذا كان الترك بسبب الإهمال والكسل فهذا يكون معصية . وكذلك من ارتكب كبيرة . فإن استحل فعلها . كفر وإن فعلها غير مستحل لها . لا يكفر .

(٢) روى أحمد فى مسنده عن عمرو بن عنبسة قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : (يا رسول الله . فالإسلام؟ قال : أن تسلم قلبك لله . وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال : فأى الإسلام أفضل؟ قال : الإيمان . قال : وما الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : فأى الأعمال أفضل؟ قال : الهجرة . قال : فما الهجرة؟ قال : أن تهجر السوء . قال : فأى الهجرة أفضل؟ قال الجهاد .

وهذا كله يدل على أن الإسلام المطلق يدخل فيه ما يدخل في الإيمان من التصديق.

وفي سنن ابن ماجة عن عدي بن حاتم قال: قال لي رسول الله ﷺ يا عدي. أسلم تسلم. قلت: وما الإسلام؟

قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله. وتشهد أني رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها وحلوها ومرها».

فهذا نص في أن الإيمان بالقدر من الإسلام. ثم إن الشهادتين من خصال الإسلام بغير نزاع. وليس المراد الإتيان بلفظهما دون التصديق بهما فعلم أن التصديق بهما داخل في الإسلام. وقد فسر الإسلام المذكور في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ بالتوحيد والتصديق طائفة من السلف منهم: محمد بن جعفر بن الزبير.

وأما إذا نفى الإيمان عن أحد وأثبت له الإسلام كالأعراب الذين أخبر الله عنهم. فإنه ينتفي عنهم رسوخ الإيمان في القلب وتثبت لهم المشاركة في أعمال الإسلام الظاهرة مع نوع إيمان يصحح لهم العمل. إذ لولا هذا القدر من الإيمان لم يكونوا مسلمين. وإنما نفى عنهم الإيمان الانتفاء ذوق حقائقه ونقص بعض واجباته. وهذا مبني على أن التصديق القائم بالقلوب يتفاضل. وهذا هو الصحيح. وهو أصح الروايتين عن أبي عبدالله: أحمد بن حنبل.

فإن إيمان الصديقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم بصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب. ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك. ولهذا جعل النبي ﷺ مرتبة الإحسان أن يعبد ربه كأنه يراه.

وهذا لا يحصل لعموم المؤمنين. ومن هناك قال بعضهم: ما سبقكم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صوم ولا صلاة. لكن بشيء وقر في صدره.

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما. هل كانت الصحابة رضي الله عنهم يضحكون؟

فقال: نعم. وإن الإيمان في قلوبهم أمثال الجبال.

فأين هذا ممن الإيمان في قلبه ما يزن ذرة أو شعيرة. كالذين هم من أهل التوحيد من النار. فهؤلاء يصح أن يقال لم يدخل الإيمان في قلوبهم لضعفه عندهم.

وهذه المسائل: أعني مسائل الإيمان والإسلام. والكفر والنفاق مسائل عظيمة

جداً. فإن الله عز وجل علل بهذه الأسماء السعادة والشقاوة. واستحقاق الجنة والنار. والاختلاف فى مسمياتها أول اختلاف وقع فى هذه الأمة. وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وأدخلوهم فى دائرة الكفر. وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم. ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين – يعنى المؤمن العاصى. لا هو مؤمن ولا هو كافر – ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم – إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان. أ. هـ

وبعد: لننهى هذا الكلام حول هذه القضية الخطيرة بما روى فى السنة الشريفة فى حديث جامع.

عن أمير المؤمنين: عمر رضى الله عنه قال:

بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم. إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فاستند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد. أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً). قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال: صدقت.

قال فأخبرنى عن الإحسان. قال: (أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قال: فأخبرنى عن الساعة: قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال فأخبرنى عن أماراتها.

قال: أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العاله رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان ثم انطلق. فلبثنا مليا. ثم قال يا عمر. أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم.

قال: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [رواه الشيخان واللفظ المسلم].

* * *

الفصل الثانى

الإلهيَّات

بمشيئة الله تعالى سنتناول المسائل الإيمانية المتعلقة بالبارى عز وجل مما يجب على كل مسلم أن يعتقده تصديقًا وإيمانًا بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من قرآن وسنة فى هذا الشأن قال الله تعالى[1]: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧].

قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى: نظرت فى المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ فى ثلاثة وثلاثين موضعًا. ثم جعل يتلو: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وجعل يكررها. ويقول: وما الفتنة الشرك لعله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ. فيزيغ قلبه فيهلكه. وجعل يتلو هذه الاية: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول: من رد حديث النبى ﷺ فهو على شفا هلكة[2].

وقال الله تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ** ﴾ [ال عمران: ٧].

(١، ٢) الإبانة لابن بطة: ١/ ٥٩، ٦٠.

ونحو هذا فى القرآن كثير. قال ابن عباس رضى الله عنهما: أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله.

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه. عن النبى ﷺ عليه وسلم قال: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقدمات ميته جاهلية».

وروى أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول ا ﷺ عليه وسلم: «من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الأثنين أبعد».

وروى ابن ماجة عن معان بن رفاعة قال: سمعت أبا خلف الأعمى يحدث عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم».

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجة عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون. ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشيا. فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافًا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

إن العقيدة الإسلامية مصدرها: الكتاب والسنة. وهذا ما عرفه السلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام. وهو المنهج الحق والصراط المستقيم والقول الفصل فى أخطر قضايا الدين.

وما جاء عن غير طريق الوحى مما هو من نتاج العقل البشرى. فليس له مكان فى هذا الأمر العظيم. والله تعالى يقول الحق وهو يهدى إلى الصراط المستقيم. والرسول ﷺ هو المبلغ عن رب العالمين.

* * *

١ - التوحيد

الله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته واحد فى صفاته واحد فى أفعاله هو الله عز وجل الواحد الأحد. المعبود وحده. لا يشاركه أحد فى ملكه ولا ينازعه أحد فى سلطانه. لا يحتاج إلي أحد. والكل محتاج إليه وهذا ما يجب على العبد اعتقاده والإيمان به قولاً وفعلاً. وحركة وسكونًا - بهذا بعث الله فينا الأنبياء والمرسلين. وبه أنزل الله الكتب. وشهد به الملائكة وأولوا العلم من خلقه عز وجل نتلوا من كتاب الله عز وجل: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ** ﴾ [الأنعام: ١ - ٣].

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص: ١ - ٤].

فهذه الآيات - وغيرها كثير - توجب على العباد الإيمان بوحدانية الله تعالى وتلك آيات أخرى تنفي عن الله عز وجل ادعاءات المضلين وكفر الكافرين وجهل الجاهلين، الذين قالوا على الله تعالى قولاً بغير علم يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٧، ١٨].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠، ١٠١].

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].

﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾ [الإسراء: ٢٢].

﴿ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩]

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: ٣٥، ٣٦].

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨، ٨٩].

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون ١١٦، ١١٧].

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات: ٤].

﴿ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

ويقول ربنا عز وجل مثنيا على نفسه ومقرراً وحدانية عز وجل:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٣].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١].

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ١، ٢].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

ويتساءل الله عز وجل فى كتابه عما يقول به الجاحدون منكرًا عليهم موقفهم ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٤].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وتقرر السنة الشريفة: أن المراد بتوحيد الله تعالى. الشهادة بأنه إله واحد روى البخارى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول: لما بعث النبى ﷺ معاذا إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى. فإذا عرفوا ذلك. فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم. فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس».

وروى أيضًا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «يا معاذ. أتدرى ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم.

قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

أتدرى ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم.

وروى البخارى أيضًا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ «قل هو الله أحد» يرددها. فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ فذكر له ذلك – فكأن الرجل يتقالها – فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

وروى أيضًا عن عائشة رضى الله عنها. أن النبى ﷺ: بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه فى صلاته فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: سلوه لأى شىء يصنع ذلك؟ فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن. وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبى ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».

وروى أبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أنشدك الله. آلله أرسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال: نعم. فأسلم.

وروى مسلم عن عمرو بن عنبسة أنه أتى النبى ﷺ فقال: ما أنت؟

قال: نبى الله. قلت: آلله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بأى شىء؟

قال: «أوحد الله لا أشرك به شيئًا» الحديث.

وبما ورد فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة من إثباتا وحدانية الله عز وجل آمن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام ولكن ليس علي طريقة المتكلمين والفلاسفة.

قال العلاقة ابن حجر العسقلانى فى الفتح[١]: ويكفى فى الردع عن الخوض فى طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين: كعمر بن عبدالعزيز زمالك بن أنس والشافعى. وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا فى الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين.

قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك. وبعضهم إلى الإلحاد. وبعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات. وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع وتطلبهم

---

(١) ١٣ / ٤٣٤.

حقائق الأمور من غيره . وليس فى قوة العقل ما يدرك ما فى نصوص الشارع من الحكم التى استأثر بها . وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم حتى جاء عن إمام الحرمين(١) أنه قال : (ركبت البحر الأعظم وغصت فى كل شيء نهى عنه أهل العلم فى طلب الحق فراراً من التقليد . والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف) .

هذا كلامه أو معناه . وعنه أنه قال عند موته : (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام . فلو عرفت أنه يبلغ بى ما بلغت ما تشاغلت به) .

ثم قال : وقال أبو المظفر بن السمعانى تعقب بعض أهل الكلام قول من قال إن السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بإيراد دلائل العقل فى التوحيد . بأنهم لم يشتغلوا بالتعريفات فى أحكام الحوادث . وقد قبل الفقهاء ذلك واستحسنوه فدونوه فى كتبهم . وكذلك علم الكلام . ويمتاز علم الكلام بأنه يتضمن الرد على الملحدين وأهل الأهواء . وبه تزول الشبهة عن أهل الزيغ ويثبت اليقين لأهل الحق وقد علم الكل أن الكتاب لم تعلم حقيقته والنبى ﷺ لم يثبت صدقه إلا بأداة العقل .

وأجاب : أما أولاً : فإن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع وأمروا بالاتباع . وصح عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدوه ذريعة للشك والارتياب . وأما الفروع : فلم يثبت عن أحد منهم النهى عنها إلا من ترك النص الصحيح وقدم عليه القياس . وأما من اتبع النص وقاس عليه فلا يحفظ عن أحد من أئمة السلف إنكار ذلك . لأن الحوادث فى المعاملات لا تنقضى . وبالناس حاجة إلى معرفة الحكم . فمن ثم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام .

وأما ثانياً : فإن الدين كمل لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » فإذا كان أكمله وأتمه وتلقاه الصحابة عن النبى ﷺ واعتقده من تلقى عنهم واطمأنت به نفوسهم . فأى حاجة بهم إلى تحكيم العقول والرجوع إلى قضاياها وجعلها أصلاً . والنصوص الصحيحة الصريحة تعرض عليها . فتارة يعمل بمضمونها . وتارة تحرف عن مواضعها لتوافق العقول .

وإذا كان الدين قد كمل فلا تكون الزيادة فيه إلا نقصانا فى المعنى ، مثل زيادة أصبع فى اليد فإنها تنقص قيمة العبد الذى يقع به ذلك . وقد توسط بعد المتكلمين فقال : لا يكفى التقليد بل لابد من دليل ينشرح به الصدر وتحصل به الطمأنينة العلمية . ولا يشترط أن يكون بطريق الصناعة الكلامية ، بلا يكفى فى حق كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه . أ . هـ .

---

(١) الإمام الجوينى .

وقال القرطبى(١) : هذا الذى عليه أئمة الفتوى ومن قبلهم من أئمة السلف واحتج بعضهم بما تقدم من القول فى أصل الفطرة . وبما تواتر عن النبى ﷺ ثم الصحابة . أنهم حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الأوثان . فقبلوا منهم الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام الإسلام من غير إلزام بتعليم الأدلة . وإن كان كثيراً منهم إنما أسلم لوجود دليل ما . فأسلم بسبب وضوحه له . فالكثير منهم قد أسلموا طوعا من غير تقدم استدلال . بل بمجرد ما كان عندهم من أخبار أهل الكتاب بأن نبيا سيبعث وينتصر على من خالفه . فلما ظهرت لهم العلامات فى محمد ﷺ بادروا إلى الإسلام وصدقوه فى كل شىء قاله ودعاهم إليه من الصلاة والزكاة وغيرهما . وكثير منهم كان يؤذن له فى الرجوع إلى معاشه من رعاية الغنم وغيرها . وكانت أنوار النبوة وبركاتها تشملهم فلا يزدادون إيمانا ويقينا . أ . هـ.

وقال أبو المظفر بن السمعانى أيضا : (ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد . وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقة) .

وخلاصة القول : أن الصحابة والتابعين والأئمة الأول من السلف لم ترضهم طرق المتكلمين فى إثبات التوحيد مع اعترافهم الكامل بأن للعقل دوره فى فهم النص من الكتاب والسنة . فإذا تخلى العقل عن الكتاب والسنة فإنه لا يستطيع وحده إثبات التوحيد . وخاصة فى السمعيات التى طريق إثباتها هو الوحى فقط .

هذا ويتجلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل فى اعتقاد هذه الأمور :

أولاً : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له .

ثانياً : اعتقاد أنه الخالق الرزاق ذو القوة المتين .

ثالثاً : اعتقاد أنه تعالى وحده المستحق للعبادة .

رابعاً : اعتقاد أن مقادير الأشياء بيده عز وجل .

خامساً : اعتقاد أنه هو الذى أرسل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم نؤمن بأن الله عز وجل واحد فى ذاته . واحد فى صفاته واحد فى أفعاله . لا شريك له فى ملكه . ولا ينازعه أحد فى سلطانه ولا يشاركه أحد فى العبادة . يتقرب العباد إليه بالطاعة . وهو الغنى عن عباده وهم الفقراء إليه . الخلق خلقه وكل ما عداه ملكه وخاضع لجبروته وسلطانه وعظمته . ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . كفر به من اتخذ معه إلهاً آخر . منزهه عن النقائص عز وجل .

---

(١) فتح البارى ١٣ / ٤٣٧ .

١ - الأسماء والصفات

أولاً : الأسماء الحسنى :

قال الله عز وجل : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٠].

وقال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء : ١١٠].

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤].

قال : «إن لله تسعة وتسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة» ورواه مسلم فى الدعوات.

وروى أيضًا عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إذا جاء أحدكم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات. وليقل : باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه. إن أمسكت نفسى فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وروى البيهقى بسنده عن عبد الرازق بن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه. قال : قال رسول الله ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين إسمًا مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة. انه وتريحب الوتر. هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. الملك القدوس. السلام المؤمن المهيمن . العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. العلى. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب.

المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحصى . المبدئ . المعيد . المحيى . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالى . المتعال . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرءوف . مالك الملك . ذو الجلال والأكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع . الباقى الوارث . الرشيد . الصبور » ورواه البخارى .

قال الإمام البيهقى فى الأسماء والصفات[1] :

(وليس فى قول النبى ﷺ : تسعة وتسعون أسماً نفى غيرها وإنما وقع التخصيص بذكرها . لأنها أشهر الأسماء وأبينها معانى . وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة . وفى رواية سفيان -- من حفظها - وذلك يدل على أن المراد بقوله من أحصاها . من عدها . وقيل : معناه من أطاقها بحسن المراعاة لها . والمحافظة على حدودها فى معاملة الرب بها . وقيل معناه من عرفها . وعقل معانيها وآمن بها والله أعلم) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب مسلماً قط همّ ولا حزن . فقال : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك . ناصيتى بيدك . ماضى فىّ حكمك عدل فىّ قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك . أن تجعل القرآن ربيع قلبى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى . إلا أذهب الله عنه همه وأبدله مكان همه فرجاً . قالوا : يا رسول الله . ألا نتعلم هذه الكلمات . قال : بلى ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن » .

وروى أيضاً عن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . أنها قالت : يا رسول الله علمنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب . قال لها ﷺ : قومى فتوضىء وادخلى المسجد[2] فصلى ركعتين . ثم ادعى حتى أسمع . ففعلت . فلما جلست للدعاء قال النبى ﷺ : اللهم وفقها . فقالت : اللهم إنى أسألك بجميع أسمائك الحسنى كلها ما علمنا منها وما لم نعلم . وأسألك باسمك العظيم الأعظم . الكبير الأكبر . الذى من دعاك به أجبته . ومن سألك به أعطيته قالت يقول النبى ﷺ : « أصبته . أصبته » .

---

(١) ص ٦ .   (٢) مسجد المرأة فى بيتها فى حجرة نومها .

وروى عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين أسمًا من أحصاها دخل الجنة فذكرها وعد منها. الإله الرب. الحنان. المنان. البارى. الأحد. الكافى. الدائم. المولى. النصير. المبين. الجميل. الصادق. المحيط. القريب. القديم. الوتر. الفاطر. العلام. المليك. الأكرم. المدبر. القدير. الشاكر. ذو الطول. ذو المعارج. ذو الفضل. الكفيل»[1].

قال الإمام البيهقى رحمه الله تعالى[2]: وزعم بعض أهل العلم بالحديث. أن ذكر الأسامى فى هذا الحديث من جهة بعض الرواة. وأن الحديث الصحيح عن النبى ﷺ فى ذكر عددها دون تفسير العدد وهذه الأسامى مذكورة فى كتاب الله عز وجل وفى سائر الأحاديث عن نبينا محمد ﷺ مفرقة نصا أو دلالة قد ذكرناها فى كتاب الأسماء والصفات. أ. هـ.

وقال الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه «الإكيل فى استنباط التنزيل».

أخرج أبو نعيم فى كتاب الصفات من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عباس وابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون أسمًا من أحصاها دخل الجنة وهى فى القرآن» كذا أخرجه بهذه الزيادة وهى مستغربة.

وأخرج عن طريق جعفر بن محمد (الصادق) – رضى الله عنهما – أنه سئل عن الأسماء التسعة والتسعين فقال هى فى القرآن.

ففى الفاتحة خمسة: يا الله. يا رب. يا رحمن. يا رحيم. يا ملك.

وفى البقرة: يا محيط. يا قدير. يا عليم. يا حكيم. يا علىّ. يا عظيم. ياتواب. يا نصير. يا ولى. يا واسع. يا كافى. يا رءوف. يا بديع. يا شاكر. يا واحد. وياسميع. يا قابض. يا باسط. يا حى. يا قيوم. يا غنى. يا حميد. يا غفور. يا حليم. يا إله. ياقريب. يا مجيب يا ناصر. يا قوى. يا شديد. يا سريع. يا خبير.

وفى آل عمران: يا وهاب. يا قائم. يا صادق. يا باعث. يا منعم. يا متفضل.

وفى النساء: يا رقيب. يا حسيب. يا شهيد. يا مقيت. يا وكيل. يا كبير. يا عَفُو.

---

(١) ضعفه يحيى بن معين والبخارى لتفرد عبدالعزيز بن الحصين بهذه الرواية وهو ضعيف. ومع ذلك هذه الأسماء واردة فى القرآن الكريم بعضها لفظا وبعضها معنى.

(٢) الاعتقاد: ١٤٣ – ١٤٥.

وفى الأنعام : يا فاطر . يا قاهر . يا مغيث . يا برهان . يا لطيف . يا قادر .
وفى الأعراف : يا محيى . يا مميت .
وفى الأنفال : يا نعم المولى . يا نعم النصير .
وفى هود : يا حفيظ . يا مجيد . يا دوود . يا فعال لما يريد .
وفى الرعد : يا متعال .
وفى إبراهيم : يا منان ، يا وارث .
وفى البحر : يا خلاق .
وفى مريم : يا فرد .
وفى طه : يا غفار .
وفى قد أفلح (المؤمنون) : يا كريم .
وفى النور : يا حق . يا مبين . يانور .
وفى الفرقان : يا هادى .
وفى سبأ : يا فتاح .
وفى الزمر : يا علام .
وفى غافر : يا غفار . يا قابل التوب . ياذا الطول . يا رفيع .
وفى الذاريات : يارزاق . يا ذا القوة المتين .
وفى الطور : يا بر .
وفى اقتربت : يا مليك . يا مقتدر .
وفى الرحمن : يا ذا الجلال والأكرام . يا باقى . يا معين .
وفى الحديد : يا أول . يا آخر . يا ظاهر . يا باطن .
وفى الحشر : يا قدوس . يا سلام . يا مؤمن . يا مهيمن . يا عزيز . يا جبار . يامتكبر . يا خالق يا بارئ . يا مصور .
وفى البروج : يا معبدئ . يا معيد .
وفى الفجر : يا وتر .
وفى الإخلاص : يا أحد . يا صمد .
فهذه الأسماء التى تتبعها جعفر تزيد على العدة المذكورة بثمانية أسماء . وإذا حذف منها ما لم يرد بصيغة الإسم وهى : صادق . متفضل . منان . منعم . مبدئ . معيد . قابض باسط . برهام . باعث . معين . مميت . باقى . وكذا ما اختلف فى كونه من

أسمائه تعالى فى القرآن وهى : فرد. وتر. سقط منها خمسة عشر اسما فيبقى إثنان وتسعون.

وقد تتبع الحافظ ابن حجر سبعة أسماء لتكلمة العدة وهى : القهار والشكور فى قوله : ﴿ **إن ربنا لغفور شكور** ﴾ والأعلى والأكرم فى قوله تعالى : ﴿ **وربك الأكرم** ﴾ والغالب ﴿ **والله غالب على أمره** ﴾ والكفيل : ﴿ **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا** ﴾ والحفى : ﴿ **إنه كان بى حفيا** ﴾[1] هذا : وقد لوحظ أن الإمامين البخارى والبيهقى[2] : يسوقان الأحاديث التى وردت فى الأسماء والصفات ويؤيدان هذه الأحاديث بآيات من القرآن الكريم للدلالة على خروج هذه الأحاديث عن أخبار الآحادى وبذلك بصير العمل بها فى الاعتقاديات أمراً واجباً. وإن من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعًا.

وقد أخرج ابن أبى حاتم[3] فى « كتاب الرد على الجهمية » بسند صحيح عن سلام ابن أبى مطيع وهو شيخ من شيوخ البخارى أنه ذكر المبتدعة فقال : ويلهم ماذا ينكرون من هذه الأحاديث. والله ما فى الحديث شيء إلا وفى القرآن مثله. يقول الله تعالى (إن الله سميع بصير – ويحذركم الله نفسه – والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه – ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى وكلم الله موسى تكليما – الرحمن على العرش استوى) ونحو ذلك. فلم يزل – أى سلام بن أبى مطيع – يذكر الآيات من العصر إلى غروب الشمس. أ. هـ.

فأسماء الله الحسنى لا حصر لها. والذى وصلنا منها هو ما ذكر فى القرآن الكريم وفى السنة الشريفة. وهو ما يجب الإيمان به (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

* * *

---

(١) ذكره الأستاذ : عبدالله الدرويش بهامش كتاب الاعتقاد للبيهقى : ١٤٣ – ١٤٥.

(٢) البخارى فى الصحيح فى كتاب التوحيد. والبيهقى فى كتابه الأسماء والصفات.

(٣) فتح البارى ١٣٠ / ٤٤٥.

ثانيًا: الصفات المقدسة:

قال الله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

آيات القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين هما:

آيات محكمة هن أم الكتاب: أى بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من المؤمنين. وآيات متشابهات: أى فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو على بعضهم.

قال ابن كثير فى التفسير: فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى: ﴿ **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ **وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ أى تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد[1].

ولعل الحكمة فى نزول الآيات المتشابهات هى: اختبار إيمان العباد بما أنزل الله فيكون نزولها ابتلاء لهم. قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: منه آيات محكمات فهو حجة الرب وعصمة العباد. ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. قال: والمتسابهات فى الصدق ليس لهن تصريف تحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم فى الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرّفن عن الحق.

وروى الإمام أحمد فى المسند عن عائشة رضى الله عنه قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ** ﴾ إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٤٤.

قوله ﴿ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: « فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى فاحذروهم » واللفظ البخارى.

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل. حدثنا حماد عن أبى غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ قال: هم الخوارج.

وفى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال: هم الخوارج. وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبى غالب عن أبى أمامة فذكره.

قال ابن كثير: وهذا الحديث أقل أقسامه: أن يكون موقوفا من كلام الصحابى ومعناه صحيح. فإن أول بدعة وقعت فى الإسلام. فتنة الخوارج. أ. هـ.

وللعلماء حول قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ رأيان. هما:

أولاً: من قال بالوقف على ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ يقولون: ليس للراسخين تأويله بل هم يؤمنون بما أنزل ويقولون ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾.

ثانيًا: من قال بالوقف على ﴿ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ يقولون: يجوز للراسخين فى العلم أو لبعضهم إن أمكنهم الله من الفهم وأفاض عليهم من فضله أن يؤولوا. وإلا حملوا المتشابه على المحكم وقالوا ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ والله أعلم.

كان لابد لنا من ذكر هذه المقدمة للحديث عن صفات البارى عز وجل لأن قضية الصفات من القضايا التى تكلم فيها الكثير من الناس كلاما أكثره ضلال ومنشؤه: إما الجهل. وأما الحقد. وقد وقف أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية فى موقف المدافع وقد وقعت منهم بعض التجاوزات والأخطاء. ولهم عذرهم – الذى نرجو الله تعالى أن يعفو عنهم – لأنهم كانوا بهذا يواجهون جبهات متعددة: الخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرهم من الطوائف المبتدعة. من الذين قالوا على الله قولا بغير علم.

والحق الذى يجب على المسلم اتباعه والإيمان به فى هذه القضية هو الوقوف عند النص القرآنى وما صح نقله عن رسول الله ﷺ. لأن الأمر هنا هو أمر الوحى فقط وليس ما يفضى به العقل. وكيف يستطيع العقل أن يتعرق على صفات خالفه وهو لا يعرف نفسه. وهل يستطيع المخلوق بكل قدراته وملكاته أن يفصل فى هذا الأمر؟

﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ والإنسان يعجز عن معرفة نفسه: ما النفس. ما الروح. ما العقل؟

أشياء فى مكونات الإنسان ولا يستطيع معرفتها. فكيف يدعى أن يمكنه التعرف على أسماء الله وصفاته؟ ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾؟

إذن يكون القرآن والسنة وحدهما. هما الأصلان الذى يجب الأعتماد عليهما فى الاستدلال لمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته عز وجل. وهذا هو منهج الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام رضى الله عنهم.

ففى صفة الرحمة: يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾.

وفى الحديث روى البخارى عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يرحم الله من لا يرحم الناس ».

وروى أيضاً عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: كنا عند البنى ﷺ. إذ جاءه رسول إحدى بناته تدعوه إلى ابنها فى الموت.

فقال النبى ﷺ: ارجع فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى. فمرها فلتصبر ولتحتسب. فأعادت الرسول أنها قد أقسمت ليأتينها.

فقام النبى ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل. فدفع الصبى إليه ونفسه تقعقع كأنها فى شن. ففاضت عيناه. فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: « هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ».

قال ابن بطال: غرضه فى هذا الباب إثبات الرحمة وهى من صفات الذات فالرحمن وصف. وصف الله تعالى به نفسه وهو متضمن لمعنى الرحمة كما وصفه بأنه عالم معنى العلم إلى غير ذلك[1].

---

(١) فتح البارى: ١٣ / ٤٤٤.

وفى صفتى الرزاق ذى القوة: يقول الله تعالى ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ وأخرج البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله. يدعون له الولدثم يعافيهم ويرزقهم).

وقال ابن بطال: تضمن هذا الباب صفتين الله تعالى: صفة ذات وصفة فعل فالرزق فعل من أفعاله تعالى فهو من صفات فعله لأن رازقا يقتضي مرزوقا والله سبحانه وتعالى كان ولا مرزوق. وكل ما لم يكن ثم كان فهو محدث. والله سبحانه موصوف بانه الرزاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق، بمعنى أنه سيرزق إذا خلق المرزوقين، والقوة من صفات الذات وهى بمعنى القدرة. ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة. ولم تزل قدرته موجودة قائمة قائمة به موجبة له حكم القادرين. والمتين بمعنى القوة وهو فى اللغة الثابت الصحيح.

وقال البيهقى: القوى التام القدرة لا ينسب إليه عجز فى حالة من الأحوال ويرجع معناه إلى القدرة والقادر(١).

وفى صفة العلم: قال الله تعالى: ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا** ﴾ و﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ و﴿ **أنزله بعلمه** ﴾ و﴿ **ما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾ و﴿ **إليه يرد علم الساعة** ﴾.

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تفيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما فى غد إلا الله. ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله. ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله. ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ».

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: قال: قال رجل: لا إله إلا الله عدد ما أحصى علمه. فقال رسول الله ﷺ: « لقد رأيت الملائكة يلقى بعضها بعضا أيهم يسبق إليها فيكتبها. فقالت الملائكة: يا رب كيف نكتبها؟ قال: فقال الله عز وجل: أكتبوها كما قال عبدى ».

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره. فمن

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ٤٤٦

أصابه من ذلك النور يومئذ شيء اهتدى. ومن أخطأه ضل. فلذلك أقول جف القلم على علم الله».

يقول البيهقي[1]: قلت: يريد بقوله من نوره، أي من نور خَلَقه. قال الله تعالى: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾.

وروى البيهقي أيضًا عن أم الدرداء رضى الله عنها قالت: سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ مما سمعته يُكَنِّيه قبلها ولا بعدها - يقول: «إن الله عز وجل قال: يا عيسى بن مريم إنى باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا. وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم. قال: يا رب. وكيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمى وعلمى».

وفى إثبات صفة القدرة: قال الله عز وجل: ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ ﴿قل هو القادر﴾ وأخرج البخارى عن جابر بن عبدالله السلمى قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى استخيرك بعلمك. واستقدرك بقدرتك. وأسألك من فضلك. فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم. وأنت علام الغيوب. اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم يسميه بعينه - خيرا لى فى عاجل أمرى وآجله. قال: أو فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه. اللهم إن كنت تعْلم أنه شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاصر فتى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به» ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات.

وروى البيهقى عن عثمان بن أبى العاص الثقفى. أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذى يألم من جسدك. وقل بسم الله ثلاثا. وقل سبع مرات. أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» ورواه مسلم فى صحيحه عن حرملة.

---

(١) الأسماء والصفات: ١٢١.

وروى أيضًا عن عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلينا مع عمار بن ياسر رضى الله عنه صلاة فخفف فيها. فلما انصرف. انصرف معه رجل - وهو أبى - فسأله فقال: إنى دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ: «اللهم إنى أسألك بعلم الغيب وقدرتك على الخلق. أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى. وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى. وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة. وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب. وأسألك القصد فى الفقر والغنا وأسألك برد العيش بعد الموت. وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هذاة مهتدين».

وفى إثبات صفة السمع: قال الله عز وجل: ﴿ **فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير** ﴾. ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادل فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما** ﴾ وقال: ﴿ **إننى معكما أسمع وأرى** ﴾ وقال: ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى** ﴾.

وروى أحمد وابن ماجة والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت: الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا فى ناحية البيت أسمع ما يقول: فأنزل الله عز وجل: ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ ورواه البيهقى فى الاعتقاد وقال: وفى هذا إثبات السمع لله عز وجل.

وقال: وروينا فى حديث الحر والبرد عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم. اللهم أجرنى من حر جهنم قال الله عز وجل لجهنم: إن عبداً من عبيدى استجار بى منك. أشهدك أنى قد أجرته» وقال فى اليوم الشديد البرد معناه.

كما روى فى الأسماء والصفات عن أبى موسى رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى مسير فكنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا.

فقال رسول الله ﷺ: أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعونى أصم ولا غائبًا. ولكنكم تدعون سميعًا قريبًا. وأتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أقول فى نفسى: لا حول ولا قوة إلا بالله قال: يا عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعرى - قل:

لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة. وقال: يا عبد الله بن قيس: ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟ قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» ورواه البخارى ومسلم.

وروى البخارى عن عبدالله بن يوسف عن ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب حدثنى عروة بن الزبيرى أن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها حدثته أنها قالت لرسول الله ﷺ. يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: «لقد لقيت من قومك شدة. وأشد ما لقيت منهم يوم العقبة. يوم عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبيد كلال. فلم يجبنى إلى ما أردت. فانطلقت وأنا مهموم على وجهى. فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى. فنظرت فإذا فيها جبريل عليه الصلاة والسلام فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك. وماردوا عليك. وقد بعث الله تعالى إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فنادانى ملك الجبال فسلم على. ثم قال: يا محمد إن الله تعالى قد سمع قول قومك. وأنا ملك الجبال. وقد بعثنى إليك لتأمرنى من أمرك بما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - الجبلين - فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا» رواه مسلم والبيهقى.

وروى البيهقى عن زياد بن فياض عن أبى عياض قال: سألت ابن عمر رضى الله عنهما أو قال: سئل ابن عمر. وأنا أسمع عن الخمر فقال: لا وسمع الله عز وجل لا يحل بيعها ولا ابتياعها. فحلف بسمع الله عز وجل.

وفى صفة البصر والرؤية - وهما عبارتان عن معنى واحد - قال الله عز وجل **﴿إن الله هو السميع البصير﴾** وقال: **﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾** وقال **﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾** وقال: **﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** وقال: **﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾** وقال: **﴿إننى معكم أسمع وأرى﴾**.

وروى الإمام أحمد عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فجعلنا لا نصدع شرفًا أولاً نعلو شرفًا ولا نهبط فى واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائبًا. وإنما تدعون سميعا بصيرا. إن الذى تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. يا عبد الله بن قيس. ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟

« لا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجاه فى الصحيح من حديث خالد . وقال بعضهم عن عبدالوهاب « سميعا قريبا » ورواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن عبدالوهاب وأقوى : إن الله سميع بصير كما أخبر وبالمعنى الذى أراد . وعلينا الإيمان والتصديق بما أنزل الله تعالى وبما روى عن رسول الله ﷺ وليس لنا أن نعمل عقولنا فى هذا الأمر لقصور عقولنا عن معرفة ما يجب لربنا إلا بسند من الوحى والتنزيل وما روى عن البشير النذير ﷺ وصدق الله العظيم ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾ .

اللهم إيمانا بك وتصديقك بكتابك ورسولك اهدنا لمعرفة الحق والصواب .

ومن صفات الله تعالى صفة الحياة :

قال الله تعالى : ﴿ **هو الحى لا إله إلا هو** ﴾ .

وروى البيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « أن اسم الله الأعظم لفى سور من القرآن ثلاث : البقرة . وآل عمران . وطه » قال أبو حفص عمر بن أبى سلمة : فنظرت أنا فى هذه السور فرأيت فيها شيئًا ليس فى شيء من القرآن مثله آية الكرسى ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وفى آل عمران ﴿ **آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وفى طه ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ .

وروى أيضًا عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا فى الحلقة . ورجل قائم يصلى . فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض . يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم إنى أسألك فقال النبى : « لقد دعا الله باسمه العظيم . الذى إذا دعى به أجاب . وإذا سئل به أعطى » ورواه أبو داود فى سننه .

وقال الإمام الحليمى : وإنما يقال ذلك لأن الفعل على سبيل الاختيار لا يوجد إلا من حى . وأفعال الله جل ثناؤه كلها صادرة عنه باختياره . فإذا أثبتناها له فقد أثبتنا أنه حى .

قال أبو سليمان : الحى فى صفة الله سبحانه هو الذى لم يزل موجودًا وبالحياة موصوفًا . لم تحدث له الحياة بعد الموت . ولا يعترضه الموت بعد الحياة . وسائر الأحياء

يعتورهم الموت والعدم فى أحد طرفى الحياة أو فيهما معا (كل شىء هالك إلا وجهه) .

ومن صفاته تعالى . مخالفته للحوادث :

قال الله عز وجل : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

الله سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء من المخلوقات ولا يشبه شيئًا منها لأنه لو أشبهه شيء لكان مثله لا أول له . ولو أشبه شيئًا لكان مثله مخلوقًا وكلا الحالين محال كما ذكر فى النص القرآنى .

* * *

الأول والآخر والظاهر والباطن

من الصفات الثابتة لله عز وجل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن ثبت ذلك بالقرآن الكريم وبالنسبة المطهرة. وأجمعت عليه الأمة قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا آوى إلى فراشه: (اللهم رب السموات ورب الأرض. ورب كل شيء فالق الحب والنوى. منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته. أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك شيء) وزاد وهب في حديثه «اقض عني الدين واغنني من الفقر» ورواه مسلم في الصحيح.

وروى البيهقي بسنده المتصل. عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: (اللهم أنت الأول فلا قبلك شيء. وأنت الآخر فلا شيء بعدك. أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك. وأعوذ بك من الإثم والكسل. ومن عذاب القبر. ومن عذاب النار. ومن فتنة الْغِنَى وفتنة القبر. أعوذ بك من المأثم والمعزم).

وروى عبدالرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن رجالا سترفع بهم المسألة حتى يقولوا: الله خلق الخلق فمن خلقه؟ قال: فقولوا: الله كان قبل كل شيء. وهو خالق كل شيء. وهو كائن بعد كل شيء).

وروى عن محمد بن علي قال: كان النبي ﷺ يعلم عليا رضي الله عنه دعوة يدعو بها عندما أهمه. فكان علي يعلمها ولده: (يا كائنا قبل كل شيء ويا مكون كل شيء. ويا كائنا بعد كل شيء. افعل بي كذا وكذا) رواه البيهقي قال يحيى بن زياد الفراء النحوي في كتابه معاني القرآن: ٠الظاهر على كل شيء علما. والباطن على كل شيء علما) ذكره البخاري في الصحيح[1].

فالله عز وجل هو الأول أزلا بلا بداية وهو الآخر أبداً بلا نهاية وهو الظاهر فليس فوقه شئ وهو الباطن فليس دونه شيء. هو أقرب إلينا من حبل الوريد جل جلاله.

---

(١) فتح الباري: ١٣/ ٤٤٩.

صفة الكلام وقضية القرآن

صفة الكلام صفة ثابتة لله عز وجل بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة. وصدق بذلك الصحابة والتابعون والأئمة من علماء السلف الصالح دون سؤال أوشك أوربية ودون إجراء مناقشات سوفطائية عقيمة كما فعل المتكلمون والفلاسفة.

نتلوا من كتاب الله عز وجل هذه الآيات الدالة على ثبوت هذه الصفة ثم نتبعها بما روى في صحيح السنة الشريفة.

قال الله عز وجل: ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا** ﴾ وقوله: ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله** ﴾ وقال: ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** ﴾ وقال: ﴿ **يسمعون كلام الله ثم يحرفونه** ﴾ وقال: ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ وقال ﴿ **واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته** ﴾ وقال: ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ وقال: ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته** ﴾ وقال: ﴿ **ويريد الله أن يحق الحق بكلمات ويقطع دابر الكافرين** ﴾ وقال: ﴿ **ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ وقال: ﴿ **وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ وقال: ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ وقال: ﴿ **إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى** ﴾ وقال: ﴿ **الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان** ﴾.

وروى الإمام مالك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (تكفل الله عز وجل لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد فى سبيله. وتصديق كلماته. أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة ورواه البخارى والبيهقى.

ورواه مسلم فى صحيحه عن يحيى بن يحيى. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله، لا يخرجه من بيته إلا جهاد

في سبيل الله وتصديق كلمته . بأن يدخل الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة) .

وروى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : يا رسول الله . الرجل يقاتل شجاعة . ويقاتل حمية ويقاتل رياء . فأى ذلك في سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

وروى مسلم عن جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه – محمد الباقر – قال : أتينا جابر بن عبدالله رضى الله عنه . فذكر الحديث بطولة فى حج النبي ﷺ . وقال فيه عن النبى ﷺ : « فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمة الله » وحدث سفيان بن عيينة . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « خرج رسول الله ﷺ من عند جويرية رضى الله عنها – وكان اسمها برة فحول اسمها – فخرج وهى فى مصلاها . فرجع وهى فى مصلاها . فقال ﷺ : لم تزالى فى مصلاك هذا؟ قالت : نعم . قال ﷺ : قد قلت بعدك أربع كلمات . ثلاث مرات . ولو وزنت بما قلت لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه . وزنة عرشه . ومداد كلماته » .

ورواه مسلم فى صحيحه عن ابن أبى عمر . ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات وقال : (وكلمات الله لا تنتهى إلى أمر ولا تحصر بعد . وقد نفى الله تعالى عنها النفاد . كما نفى عن ذاته الهلاك . والمراد بالخبر ضرب المثل دلالة على الوفور والكثرة . والله أعلم) [1] .

رورى البخارى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان النبى ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما . أعيذكما بكلمات الله التامة . من كل شيطان وهامة . ومن كل شيطان وهامة . ومن كل عين لأمة . ثم يقول : كان أبوكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام » .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله فقال :

---

(١) الأسماء والصفات : ١٨٣ .

يا رسول الله : ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة . قال ﷺ : « أما إنك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم تضرك » .

والقرآن الكريم كلامه سبحانه وتعالى . قال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون** ﴾ وقال : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه** ﴾ وقال : ﴿ **ألاله الخلق والأمر** ﴾ وقال : ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾ وقال : ﴿ **آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾ وقال : ﴿ **إنا جعلناه قرآن عربيا** ﴾ وقال : ﴿ **والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ وقال : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾ وقال : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ وقال : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ .

ولا يشك مؤمن فى أن القرآن الكريم كلام الله أنزله على حبيبه وصفوة خلقه سيدنا محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً . بهذا آمن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن سار على نهجهم وسلك طريقهم . ولم يتكلموا حول القرآن إلا بتنفيذ أحكامه وتوجيهاته وإرشاداته . ولم يرد عن أى منهم أنه أثار خلافًا حول القرآن الكريم بمثل هذه المسائل الجدلية التى تعرض لها علماء الكلام والفلاسفة . فلم ينقل عن الصحابة والتابعين أنهم قالوا مخلوق أو غير مخلوق . أو بصوت . ولكنهم آمنوا بما جاءهم عن الله تعالى مما أنزله على رسول الله ﷺ . وانصرفوا فى همة يطبقون أحكامه ويعملون بشرائعه . ولم يقولوا فى كتاب الله قولا بغير علم وقد كان الصحابة يذهبون إلى رسول الله ﷺ فرد أى وجماعات يسألونه عن معنى آية أو عن كيفية تنفيذ حكم من أحكام الله عز وجل وتلك المسائل الخلافية التى أثارها الجدليون حول القرآن واصطلى بنارها الكثير من علماء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل فى محنته العظيمة[1] فهذه المشكلة دخيلة على العالم الإسلامى . وهى من مبتدعات أهل الأهواء والبدع . لذا يجب علينا الإيمان والتصديق اليقينى بأن القرآن هو كلام ربنا عز وجل ويلزمنا وجوبا العمل بأحكامه دون تردد فنحل حلاله ونحرم

---

(١) راجع كتابنا الإمام أحمد مناقب ومواقف (فصل المحنة) .

حرامه ونعمل بمحكمة ومتشابهة. راجين من الله تعالى أن يهدينا حسن تلاوته وفهمه والعمل بما فيه ليحق لنا أن نستشفع بسيد الخلق ﷺ وبالقرآن ورد فى الحديث الصحيح: «الصيام والقرآن يشفعان فى العبد يوم القيامة فيقول الصوم يا رب متعته الطعام والشراب والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن لقد منعته النوم بالليل فشفعنى فيه. فيشفعان).

وشفاعة القرآن من باب شفاعة صفات الجمال عند صفات الجلال فى المذنبين من عباده هذا ويجوز بل يصح القسم بالقرآن الكريم وتنعقد بذلك الأيمان كونه من صفات الله تعالى والله أعلم.

هذا: وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة. من أن الله تعالى كلم سيدنا موسى عليه السلام تكليماً. وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. وأن المؤمنين يرون ربهم كما تواترت بذلك الأحاديث روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات. والدارمى فى سننه.

أخرج ابن بطه العكبرى فى الإبانة عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى»(1).

وأخرج أيضاً عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقرب العباد إلى الله بشىء أفضل من شىء خرج منه. وهو القرآن»(2).

وروى أبو داود عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا. فيصعقون حتى يأتيهم جبريل. فإذا جاء هم جبريل. فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل. ماذا قال ربكم؟ قال: يقول الحق. قال: فينادون: الحق الحق» رواه البيقهى.

وروى البخارى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إنما

---

(1) رواه البخارى فى: خلق أفعال العباد. ورواه أبو داود والترمذى وأحمد والبيهقى والدارمى.

(2) رواه الترمذى وأحمد وابنه عبدالله والخطيب البغدادى فى التاريخ.

هما اثنتان: الكلام والهدى. فأحسن الكلام: كلام الله. وأحسن الهدى: هدى محمد ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور. فإن شر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة» ورواه أحمد وابن ماجة والآجرى.

وعن أبى عبدالرحمن السلمى قال: سمعت عمر بن الخطاب رحمه الله يقول على منبره: (أيها الناس. إن هذا القرآن كلام الله. فلاعرفن ما عطفتموه على أهوائكم. فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس. فدخلوه طوعا وكرها. وقد وضعت لهم السنن ولم تترك مثالاً. إلا أن يكفر عبد عمد عين. فاتبعوا ولا تبتدعوا. فقد كفيتم. واعملوا بمحكمه. وآمنوا بمتشابهه» أخرجه ابن بطه العكبرى فى الإبانة.

وقال ابن أبى العوام: اشهدوا على أن دينى الذى أدين الله عز وجل به. أن القرآن كلام الله غير مخلوق. وأن من زعم أن القرآن مخلوق. فهو كافر. وهذه كانت مقالة أبى (١).

وروى البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت: (كان النبى ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات).

قال ابن بطة العكبرى: فتفهموا رحكم الله هذه الأحاديث – التى رواها فى الإبانة – فهل يجوز أن يعوذ النبى ﷺ بمخلوق ويتعوذ هو ويأمر أمته أن يتعوذوا بمخلوق مثلهم؟ وهل يجوز أن يعوذ إنسان نفسه أو غيره بمخلوق مثله؟ فيقول: أعيذ نفسى بالسماء أو بالجبال أو بالأنبياء أو بالعرش أو بالكرسى أو بالأرض؟

وإذا جاز أن يتعوذ بمخلوق مثله. فليعوذ نفسه وغيره بنفسه فيقول: أعيذك بنفسى. أو ليس قد أوجب عبدالله بن مسعود رحمه الله على من حلف بالقرآن بكل آية. كفارة؟ فهل يجب على من حلف بمخلوق كفارة؟

وروى عن عبدالله بن مسعود أنه سمع رجلاً يحلف بسورة البقرة فقال: «أما إن عليه بكل آية منها يمينا» (٢).

وروى البخارى عن معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد فقلت: إنهم يسألوننا عن القرآن. أمخلوق هو؟ فقال ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلام الله.

وروى سفيان بن عيينة قال: قال عمرو بن دينار: (أدركت أصحاب النبى ﷺ

---

(١) الإبانة: ٢/ ١١٠ (٢) المصدر السابق: ٢/ ١١٤.

منذ سبعين سنة ومن دونهم. كلهم يزعمون: أن الله الخالق وما دونه مخلوق. إلا القرآن فإنه منه وإليه يعود).

وصدق الله العظيم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وروى البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله. كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ: «يأتينى أحيانا فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على. فيفصم عنى وقد وعيت ما قال الملك. وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً فيعلمنى - قال القعبى: فيكلمنى فأعى ما يقول - قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم وإن جبينه ليتفصد عرقا» ورواه مالك أيضاً.

* * *

صفة الإرادة والمشيئة والهداية

الإرادة والمشيئة كلتاهما عبارتا عن معنى واحد .

روى الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى رضى الله عنه : المشيئة إرادة الله تعالى . قال الله عز وجل : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ فأعلم الله تعالى خلقه . أن المشيئة له دون خلقه . وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله فيقال لرسول الله ﷺ . ما شاء الله ثم شئت . ولا يقال ما شاء الله وشئت .

وروى عن الأوزاعى . قال : أتى النبى ﷺ يهودى . فسأله عن المشيئة فقال : « المشيئة لله تعالى . قال : فإنى أشاء أن أقوم . قال : قد شاء الله أن تقوم . قال : فإنى أشاء أن أقعد . قال : فقد شاء الله أن تقعد . قال : فإنى أشاء أن أقطع هذه النخلة . قال : فقد شاء الله أن تقطعها . قال : فإنى أشاء أن أتركها . قال : فقد شاء الله أن تتركها . قال : فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام . فقال : لقنت حجتك كما لقنها إبراهيم عليه السلام . قال : ونزل القرآن فقال : ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين** ﴾ قلت : هذا وإن كان مرسلا فما قبله من الموصولات فى معناه يؤكده . وبالله التوفيق والعصمة(1) .

ويؤكد هذا المعنى ما نزل فى كتاب الله عز وجل من الآيات المثبتة لهذه الصفة قال الله تعالى : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وما يذكرون إلا أن يشاء الله** ﴾ وقوله : ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ وقوله : ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾ وقوله : ﴿ **قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به** ﴾ وقوله : ﴿ **يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾ وقوله : ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له** ﴾ وقوله : ﴿ **يهدى الله لنوره من يشاء** ﴾ وقوله : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ﴾ وقوله : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ وقوله : ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ .

---

(1) الأسماء والصفات : ١٤٤ ، ١٤٥ .

ومما روى في السنة الصحيحة ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقول أحدكم اغفر لى إن شئت أوارحمنى إن شئت. أو ارزقنى إن شئت. ليعزم مسألته. الله يفعل ما يشاء لا مُكرِه له).

وفى هذا إثبات المشيئة لله عز وجل وأنه يفعل ما يشاء.

وروى البيهقى بسنده المتصل عن أبى الزبير المكى قال: إن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره. فأتاه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى. فحدثه بذلك من قول ابن مسعود رضى الله عنه قال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ. يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة. بعث الله تعالى إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك. فيقول: يا رب أرجَله. فيقول ربك ما شاء. ويكتب الملك. فيقول يا رب رزقه. فيقضى ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص» ورواه مسلم فى الصحيح وزاد منه: «فقال: يا رب شقى أم سعيد؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك».

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: أى رب نطفة أي رب علقة أى رب مضغة. فإذا أراد الله عز وجل أن يقضى خلقها قال: أى رب أذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه» ورواه مسلم والبيهقى أيضاً.

وروى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سئل النبى ﷺ عن العزل، فقال: «ما من كل الماء يكون الولد. وإذا أراد الله تعالى خلق شيء لم يمنعه شيء».

وروى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا إلى فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء».

وروى البخارى عن عبدالله بن أبى قتادة عن أبيه فى حديث الميضأة قال: فقال النبى ﷺ: «إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء. فقضوا حوائجهم فتوضئوا إلى أن أبيضت - يعنى الشمس - ثم قام فصلى».

وروى البيهقى بسنده المتصل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لما رجع رسول

الله ﷺ من الحديبية نزل منزلا فعرَس فيه. فقال من يحرسنا؟ فقال عد الله أنا. أنا. فقال: أنت؟ مرتين أو ثلاثًا. يعنى إنك تنام. ثم قال: ﷺ: «أنت لها» فحرست. فلما كن فى وجه الصبح أدركنى ما قال رسول الله ﷺ فتمت. فلم نستيقظ إلا بحر الشمس على ظهورنا. فقام رسول الله ﷺ فصنع كما كان يصنع ثم صلى الصبح. ثم قال: «إن الله تعالى لو شاء لم تناموا عنها. ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم. فهكذا ى لمن نام أو نسى».

وروى أبو داود الطيالسى فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان. ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان».

وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بكلمة فى بعض الأمر. فقال الرجل لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ: «أجعلتنى لله عدلا. بل شاء الله وحده».

لقد دلت هذه النصوص القرآنية وتلك الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة على أن حدوث كل شىء إنما هو بمشيئة الله وإرادته وحده عز وجل.

وإذا أراد العبد أمرا وشاء ذلك. فلن تحقق مشيئة العبد وإرادته إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

وكذلك يهدى الله من يشاء ويضل من يشاء لحكمه يعلمها هو سبحانه وتعالى قال الله تعالى: ﴿**وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**﴾ وقال: ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها**﴾ وقال: ﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**﴾ وقال ﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا**﴾ وقال: ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعلمون**﴾ وقال: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء**﴾ وقال: ﴿**إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء**﴾ وقال: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير**﴾ والآيات المنزلة فى هذا الأمر كثيرة.

وأخرج البخارى ومسلم عن الزهرى قال: أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه

قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله ابن أبى أمية بن المغيرة. فقال النبى ﷺ لأبى طالب: أى عم قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟

فلم يزل النبى ﷺ يعرضها عليه ويعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبى ﷺ: أما والله لاستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾.

فأنزل الله تعالى فى أبى طالب على رسول الله ﷺ ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ ورواه البيهقى فى الأسماء والصفات.

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن جل جلاله كقلب واحد يصرفها كيف يشاء. ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

وروى الزهرى عن سالم بن عبدالله . أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول: ألا إنما بقاؤكم فيما سلف من الأمم قبلكم. كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس. أعطى أهل التوارة. التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار. ثم عجزوا. فأعطوا قيراطا قيراطا. وأعطى أهل الإنجيل. الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا. قيراطا. ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين. قيراطين. فقال أهل التوراة والإنجيل. ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً. فقال: هل ظلمتكم من أجركم من شىء. فقالوا: لا فقال: فضلى أوتيه من أشاء» رواه البخارى.

روى الإمام أحمد عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون. فأخبرنى رسول الله ﷺ: «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء. فجعله رحمة للمؤمنين. فليس من رجل يقع به الطاعون. فيمكث فى بيته صابراً محتسباً. يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له. إلا كان له مثل أجراً لشهيد» وأخرجه البخارى عن داود.

روى عبدالرزاق عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى لا يقل ابن آدم. يا خيبة الدهر. فإنى أنا الدهر أرسل الليل والنهار. فإذا شئت قبضتهما».

وروى حرملة قال: قال الشافعى رضى الله عنه: تأويله والله أعلم أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التى تنزل بهم من موت أو هدم أو تلف أو غير ذلك. فيقولون إنما يهلكنا الدهر. وهو الليل والنهار. فيقولون أصابتهم قوارع الدهر. وأبادهم الدهر. فيحملون الليل والنهار اللذان يفعلان ذلك. فيذمون الدهر بأنه الذى يفنينا. ويفعل بنا. فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبو الدهر على انه يفنيكم. والذى يفعل بكم هذه الأشياء. فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء. فإنما تسبون الله تبارك وتعالى. فإن الله عز وجل فاعل هذه الأشياء»[1] أ. هـ.

وقال الله تعالى: ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء** ﴾.

وقال: ﴿ **ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ* أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** ﴾ وقوله: ﴿ **إن الله يهدى من يريد** ﴾.

وروى البخارى عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وإنما انا قاسم ويعطى الله» ورواه مسلم عن حرملة.

وأخرج مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفاً وفرطاً. وإذا أراد هلاك أمة عذبها ونبيها حى، فاقرعينه يهلكنها حين كذبوه وعصوا أمره».

وروى مقاتل بن حبان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: إن رسول الله قال لأبى بكر رضى الله عنه: «يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس».

فهذه الأمور كلها. الارادة والمشيئة والهداية والإضلال كلها ثابتة لله عز وجل ولو اجتمع أهل الأرض والسموات على فعل أمر فلن يتحقق إلا بإرادة الله تعالى فمن أراد الله هدايته فلن يضله أحد ومن أراد أن يضله فلن يهديه أحد.

---

(١) الأسماء والصفات: ١٥٠.

٣ - الرحمن على العرش أستوى

العرش والكرسى واللوح والسموات والأرضين وما فيهن مما نعلم من ملك وما لا نعلم كله مخلوق لله عز وجل. وهناك فارق بين الخالق والمخلوق فالخالق يجب له كل كمال والمخلوق صنعة الخالق ومحتاج إليه.

قال الله تعالى: ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ وقال: ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ وقال عز وجل: ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم** ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ وقال جل وعلا: ﴿ **بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ** ﴾.

سبحانه وتعالى خلق كل شيء فقدره تقديراً. وكل ما خلق شاهد على عظمته ودليل على وحدانيته وقدرته وتفرده بالخلق والإيجاد (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الآيات لأولى الألباب).

وروى البخارى ومسلم عن أين عباس رضى الله عنهما قال: إن نبى الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش العظيم).

وروى البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس. فلما غربت الشمس قال: يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب هذه؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذ لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها. ثم قرأ: (ذلك مستقر لها) فى قراءة عبدالله ».

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ. عن قول الله عز وجل: ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها** ﴾ قال: « مستقرها تحت العرش ».

وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: قال: (إن الناس يصعقون يوم القيامة. فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش). وفى رواية له عن أبى هريرة: « فأكون أول من بعث. فإذا موسى آخذ بالعرش ».

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ. قال: لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبى».

قال الله عز وجل: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال جل وعلا: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الرعد: ٢] وقال: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ [السجدة: ٤] وقال: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١].

وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من الطريق الحسن البصرى عن أمة عن أم سلمة – رضى الله عنها – أنها قالت: (الأستواء غير مجهول. والكيف غير معقول والإقرار به إيمان. والجحود به كفر).

ومن الطريق ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه سئل: كيف استوى على العرش؟ فقال: (الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول. وعلى الله الرسالة. وعلى رسوله البلاغ. وعلينا التسليم).

وأخرج البيهقى بسند جيد عن الأوزاعى. قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

وأخرج الثعلبى من وجه آخر عن الأوزاعى أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فقال: هو كما وصف نفسه.

وأخرج البيهقى بسند جيد عن عبدالله بن وهب قال: كنا عند مالك. فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله. الرحمن على العرش استوى. كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء. ثم رفع رأسه فقال: (الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف. وكيف عنه مرفوع. وما أراك إلا صاحب بدعة. أخرجوه) ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه: (والإقرار به

واجب والسؤال عنه بدعة) وأخرج البيهقى من طريق أبى داود الطيالسى قال : كان سفيان الثورى وشعبه وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأبو عوانه : لا يحددون ولا يشبهون . ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف؟ قال أبو داود : وهو قولنا . قال البيهقى : وعلى ذا مضى أكابرنا .

وأسند اللالكائى عن محمد بن الحسن الشيبانى قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التى جاءبها الثقات عن رسول الله ﷺ . وفى صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير . فمن فسر شيئًا منها وقال بقول جهم . فقد خرج عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شىء .

ومن طريق الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعى ومالكا والثورى والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف .

وأخرج ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن يونس بن عبدالأعلى : سمعت الشافعى يقول : (لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها . ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر . فنثبت هذه الصفات وننفى عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : (ليس كمثله شىء) .

وأسند البيهقى بسند صحيح عن أحمد بن أبى الحوارى عن سفيان بن بن عيينة قال : (كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه) .

ومن طريق أبى بكر الضبعى قال : مذهب أهل السنة فى قوله : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ قال : بلا كيف . والآثار فيه عن السلف كثيرة . وهذه طريقة الشافعى وأحمد بن حنبل . وقال الترمذى فى الجامع عقب حديث أبى هريرة فى النزول وهو على العرش كما وصف به نفسه فى كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات[1] . أ . هـ .

وقال الإمام ابن جزم رحمه الله[2] . قول الله تعالى يجب حمله على ظاهرة ما لم

---

(١) راجع هذه الأقوال فى فتح البارى ١٣ / ٥٠٠ ، ٥٠٠١ والأسماء والصفات للبيهقى : ٤٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) وهو المتحدث الرسمى باسم السلفية .

يمنع من حمله على ظاهرة نص آخر أو إجماع أو ضرورة حس. وقد علمنا أن كل ما كان فى مكان فإنه شاغل لذلك المكان ومالىء له ومتشكل بشكله. ولابد من أحد الأمرين ضرورة وقد علمنا أن ما كان فى مكان فإنه متناه بتناهى مكانه وهو ذو جهات ست أو خمس متناهية فى مكان. وهذه كلها صفات الجسم. ثم قال: إن الأمة أجمعت على أنه لا يدعو أحد فيقول: يا مستوى ارحمنى، ولا يسمى ابنه: عبدالمستو ثم قال: إن مغنى قوله تعالى على العرش استوى. أنه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه إليه، فليس بعدالعرش شىء - والعرش نهاية جرم المخلومات - الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء. ومن أنكر أن يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان. فقد لحق بقول الدهرية. وفارق الإسلام. ثم رد على القائلين بالمكان وختم كلامه بقوله: فإنه لا يكون فى مكان إلا ما كان جسما أو عرضا فى جسم. هذه الذى لا يجوز سواه، ولا يتشكل فى العقل والوهم غيره البتة. وإذا انتفى أن يكون الله عز وجل جسما أو عرضا فقد انتفى أن يكون فى مكان أصلا وبالله نتأيد[١].

وهكذا استقبل السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام تلك الآيات وهذه الأحاديث الواردة فى الأستواء ومثلها الواردة فى النزول والعروج واليد والعين والوجه والساق مما هو من متشابه القرآن الكريم والسنة الشريفة كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه (نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه).

ونحن نقول بما قال به إمامنا الشافعى رضى الله عنه: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله. وآمنت برسول الله. وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ)[٢].

إن هذه الآيات ومثلها مما هو من متشابه القران نؤمن بها وقفرؤها كما نزلت ولا نتصرف بتأويل ولا غيره إلا إذا جاءنا عن رسول الله ﷺ وصحبه فيها شىء. فهذه الآيات ومثلها من الأحاديث الصحيحة يختبر الله بها إيماننا. فتنبه يا أخى المسلم حتى لا تقع فى خطأ قد يجرك إلى ضلال المضلين وبدعة المبتدعين ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقى. هامش ٤٠٩. فهل يعتبر أدعياء السلف من المشبهة بقول ابن حزم الظاهرى وهو ممن يتكلم باسم السلف.

(٢) منهاج المسلم: ٢٢.

(٤) رؤية البارى عز وجل

رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار فى الآخرة ممكنة. وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة الصحيحة. ولا ينكر ذلك إلا الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ورأيهم هذا معارض لصريح القرآن وصحيح الحديث.

قال الله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ يعنى: مشرقة ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] يعنى: رائية. ترى بها عز وجل(١).

وقال الله عز وجل على لسان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

« رب أرنى أنظر إليك » ولا يجوز أن يكون موسى - صلوات الله عليه وسلامه وقد ألبسه الله جلباب النبيين. وعصمة بماعصم به المرسلين. قد سأل ربه - عز وجل - ما يستحيل عليه. فإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً. وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى.

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى ﷺ. وعلموه هم. لكانوا على قولهم. أعلم من موسى ﷺ. وهذا مما لا يدعيه مسلم(٢).

إن سيدنا موسى ﷺ علم أن رؤية البارى فى الدنيا جائزة.

ولذلك طلبها. لأنه لا يعقل أن يطلب نبى مرسل من ربه عز وجل أن يحقق له أمراً يستحيل وقوعه. ولذلك علق ربنا جواز الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن بحول الله وقوته.

وقال تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [يونس: ١٦].

---

(١) الإبانة للأشعرى.

(٢) الإبانة للأشعرى: ٤١، ٤٢ تحقيق د. فوقية حسين.

قال أهل العلم: (الحسنى) الجنة (وزيادة) الرؤية للبارى عز وجل أما قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يحتمل أن يكون لا تدركه فى الدنيا. وتدركه فى الآخرة كما يحتمل أن يكون الله تعالى قد أراد بذلك لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين.

وروى البخارى فى صحيحه عن جرير رضى الله عنه قال: (كنا جلوسا عند النبى ﷺ. إذ نظر إلى القمر ليلة البدر. قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته. فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس. فافعلوا).

وفى رواية له عن جرير أيضاً قال: قال النبى ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا».

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه. أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله. قال: فهل تضارون فى الشس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة. فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس. الشمس. ويتبع من كان يعيد القمر. القمر. ويتبع من كان يعبد الطواغيث. الطواغيث. وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أومنافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم. فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها. ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل. ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم.. الحديث).

وروى أيضًا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قلنا يا رسول الله. هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتهما. ثم قال: ينادى مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون. فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم. وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم. حتى يبقى من كان يعبد الله من برّ أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب. ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب. فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيزاً ابن الله. فيقال:

كذبتم لم يكن لله صاحبه ولا ولد . فما تريدون؟ قالوا : نريد أن تسقينا . فيقال : اشربوا فيتساقطون فى جهنم ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون؟ فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد . فما تريدون؟ فيقولون : نريد أن تسقينا .

فيقال : اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بَرَ أو فاجر فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس . فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم . وإنا سمعنا مناديًا ينادى . ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون . وإنما ننتظر ربنا . قال : فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة . فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء . فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون : السَّاق فيكشف عن ساقه . فيسجد له كل مؤمن . ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة . فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا . ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرانى جهنم . . الحديث .

ففى هذه الأحاديث يؤكد لنا رسول الله ﷺ أن المؤمنين سوف يرون ربهم فى الآخرة بيقين كما أنهم على يقين من رؤية الشمس والقمر أما كيفية وقوع الرؤية فهذا مما هو في علم الله تعالى . وهو قادر على أن يخلق فينا ما يتيح لنا التمتع برؤيته عز وجل . اللهم لا تحرمنا من لذة النظر إلى وجهك الكريم ولا من مرافقة نبيك سيدنا محمد ﷺ فى الفردوس الأعلى من الجنة .

وروى عن البيهقى رحمه الله قال : وروينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وحذيفة بن اليمان . وعبد الله بن مسعود . وعبد الله بن عباس وأبى موسى (الأشعرى) . وغيرهم رضى الله عنهم . ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا . كما أنهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرائع والأحكام . نقل اختلافهم فى ذلك إلينا . وكما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا . نقل اختلافهم فى ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله بالأبصار فى الآخرة عنهم . ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف يعنى : فى الآخرة . كما نقل عنهم فيها اختلاف فى الدنيا .

علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين مجتمعين .

وروى أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال فى قول الله عز وجل : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] قال : فلما حجبهم فى السخط كان

هذا دليلا على أنهم يرونه فى الرضا. كما روى أيضًا عن سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي رحمه الله ما تقول فى حديث الرؤية؟ فقال لى: يا ابن أسد. أقض على حييت أومت أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإنى أقول به. وإن لم يبلغنى. والله أعلم[1].

وممن كان يجوز الرؤية فى الدنيا: ابن عباس أبو هريرة وأحمد بن حنبل وغيرهم. والله أعلم.

* * *

---

(١) الاعتقاد: ٢٢٧، ٢٢٨.

(٥) قضية خلق الأعمال

اتفق سلف الأئمة. قبل ظهور البدع والأهواء. واضطراب الآراء. على أن الخالق المبدع رب العالمين. ولا خالق سواه. ولا مخترع إلا هو. فهذا هو مذهب أهل الحق. فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى. ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به. وبين ما تفرد الرب بالاقتدار عليه. ويخرج من مضمون هذا الأصل أن كل مقدور لقادر. فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشؤه.

واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الأهواء على أن العباد يوجدون لأفعالهم. مخترعون لها بقُدَرِهم. واتفقوا أيضًا على أن الرب تعالى عن قولهم لا يتصف بالاقتدار على مقدور العباد. كما لا يتصف العباد بالاقتدار على مقدور الرب تعالى(١). أ. هـ.

أى ضلال هذا الذى يقول به المعتزلة؟ وخاصة القدرية منهم.

إن القول الحق. أنه ل يقع فى ملك الله تعالى إلا ما أراده الله عز وجل وقدره وأحدثه. قال الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [غافر: ٦٢].

فدخل فيه: الأعيان والأفعال من الخير والشر.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] فنفى أن يكون خالق غيره. ونفى أن يكون شىء سواه غير مخلوق. فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله - سبحانه - خالق بعض الشىء دون جميعها. وهذا خلاف الآية ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان. فلو كان الله خالق الأعيان والناس خالقى الأفعال. لكان خلق الناس أكثر من خلقه. ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه وتعالى. ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل(٢).

روى البيهقى بسنده عن قتادة فى قوله: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] قال: الأصنام ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قال: خلقكم وخلق ما

---

(١) الارشاد للجوينى: ١٨٧.

(٢) كتابنا الإمام الشافعى والفكر السلفى: ٦٥.

تعلمون بأيديكم قلنا رأى البيهقى - ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] فامتدح بالقولين جميعًا. فكما لا يخرج شىء من علمه. لا يخرج شىء غيره من خلقه. ولأنه قال: ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٣، ١٤] فأخبر أن قوله وسرهم وجهرهم خلقه وهو بجميع ذلك عليم. وقال: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم: ٤٣] كما قال: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٤] فكما كان مميتا محييا بأن خلق الموت والحياة. كان مضحكا ومبكيا. بأن خلق الضحك والبكاء. وقد يضحك الكافر سرورا بقتل المسلمين وهو منه كفر. وقد يبكى حزنا بظهور المسلمين وهو منه كفر.

فثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها ولأنه قال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] وقال: ﴿ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٤] فسلب عنهم فعل القتل والرمى والزرع مع مباشرتهم إياه. وأثبت فعلها لنفسه. ليدل بذلك على أن المعنى المؤثر فى وجودها بعد عدمها هو إيجاده وخلقه. وإنما وجدت من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثها خالقنا - عز وجل - على ما أراد. فهى من الله - سبحانه خلق على معنى أنه هو الذى اخترعها بقدرته القديمة. وهى من عباده كسب على معنى تعلق قدرة حادثة بمباشرتهم التى هى أكسابهم. ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوه تخالف فعل مكتسبها يدل على موقع أوقعها على ما أراد غير مكتسبها وهو الله. ربنا. خلقنا وخلق أفعالنا. لا شريك له فى شىء من خلقه (تبارك الله رب العالمين).

وكان الإمام أبو الطيب. سهل بن محمد بن سليمان (شيخ الشافعية بخراسان) يعبر عن هذا. بعبارة حسنة. فيقول: (فعل القادر القديم خلق. وفعل القادر المحدث كسب. فتعالى القديم عن الكسب وجل. وصغر المحدث عن الخلق وذل).

وقد أثبت الله - سبحانه - كسب العباد وخلق كسبهم بما ذكرنا من الآيات فى هذا الموضوع. ثم يقول. وبمثل ذلك جاءت السنة عن رسول الله ﷺ[١]. أ. هـ.

---

(١) الاعتقاد للبيهقى: ٢٤٤ - ٢٤٦.

ولنا أن نتساءل : ما هو الكسب . وما هو المعنى المراد منه؟

يجيب على ذلك العلامة ابن القيم الجوزية[1] فيقول : أما الكسب فأصله فى اللغة : الجمع . قاله الجوهرى . وهو طلب الرزق . يقال : كسبت شيئًا واكتسبته بمعنى . وكسبت أهلى خيرا . وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا مما جاء على فعلته ففعل . والكواسب الجورج : وتكسب تكلف الكسب . والكسب قد وقع فى القرآن على ثلاثة أوجه :

أحدها : عقد القلب وعزمه . كقوله تعالى : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة : ٢٢٥] أى بما عزمتم عليه وقصدتموه، وقال الزجاج : أى يؤاخذكم بعزمكم على أن لا تبرواو أن لا تتقوا وأن تعتلوا فى ذلك بأنكم حلفتم . وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذة . وأنها تقتضى تعذيبا . فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين . والقول الأول أصح . وهو قول جمهور أهل التفسير فإنه قابل به لغواليمين . وهو أن لا يقصد اليمين . فكسب القلب المقابل للغواليمين هو عقده وعزمه . كما قال فى الآية الأخرى ﴿ **وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ** ﴾ [المائدة : ٨٩] فتعقيد الإيمان هو . كسب القلب .

الوجه الثانى من الكسب : كسب المال من التجارة . قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ [البقرة : ٢٦٧] فالأول للتجار والثانى للزراع .

الوجه الثالث من الكسب : السعى والعمل كقوله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وقوله : ﴿ **مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾ [الزمر : ٢٤] ﴿ **وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الأنعام : ٧٠] أ.هـ.

وروى الربيع بين سليمان عن الإمام الشافعى رضى الله عنه : أنه قال : قال الله تعالى ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الإنسان : ٣٠] فأعلم الله عباده أن المشيئة له دون خلقه . وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء .

---

(١) شفاء العليل : ١٢٠ .

قال الفخر الرازى: واعلم أن الشافعى أشار فى هذا الكلام إلى الدليل الذى هو الدليل الأقوى لمثبتى القضاء والقدر. وتقديره: أن صدور الفعل من العبد. موقوف على أن يحصل فى قلبه مشيئة لذلك الفعل. وحصول تلك المشيئة ليس بمشيئة أخرى من قبل العبد وإلالزم التسلسل فلابد من انتهاء تلك المشيئة إلى مشيئة تحدث بمشيئة الله تعالى. وعلى هذا التقدير: يكون الكل بقضاء الله(١).

وروى البيهقى(٢) بإسناده عن الشافعى عن يحيى بن سليم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – أنه خطب فى الناس فقال فى خطبته: أعجب ما فى الإنسان قلبه. فيه مواد من الحكمة وأضدادها من خلافها فإذا سنح له الرجاء أولهه الطمع وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص. وإن ملكه اليأس قتله الأسف. وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ. وإن أسعده الرضا نسى التحفظ. وإن ناله الخوف شغله الحزن وإن أصابته المصيبة قصمه الجزع. وإن وجد مالا أطغاه الغنى. وإن عضته فاقة شغله البلاء. وإن أجهره الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر. وكل إفراط له مفسد.

قال: فقام رجل ممن شهد معه الجمل. فقال: يا أمير المؤمنين. أخبرنا عن القدر. فقال: بحر عميق فلا تلجه. فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: بيت مظلم فلا تدخله. فقال يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: سر الله فلا تبحث عنه. فقال: يا أمير المؤمنين: أخبرنا عن القدر فقال: لما أبيت. فإنه أمر بين أمرين. لا جبر ولا تفويض:

فقال: يا أمير المؤمنين: إن فلانا يقول: بالاستطاعة – وهو حاضر فقال على رضى الله. عنه: علىّ به. فأقاموه. فلما رآه قال له: الاستطاعة تملكها مع الله. أو من دون الله؟ وإياك أن تقول أحدهما فتريد قال: قل أملكها بالله. الذى إن شاء ملكنيها. أ.هـ.

قال الإمام فخر الدين الرازى شارحا لكلام أمير المؤمنين رضى الله عنه:

هذا الفصل الذى ذكره أمير المؤمنين على رضى الله عنه. فصل فى غاية الجلالة ودال على صحة القول بالقضاء والقدر. وبيانه: أن لا شك فى أن أفعال الجوارح مرتبطة بما يحصل فى القلوب من الدواعى والصوارف. ثم إنه رضى الله عنه بين أن كل ما فى القلب من الدواعى والصوارف فإنه يحدث بسبب من الأسباب الخارجة عن

---

(١) الإمام الشافعى والفكر السلفى: ٦٨.
(٢) المصدر السابق: ٧٠ – ٧٢.

قدرة الإنسان واختياره. وذلك أن الإنسان إذا رأى صورة شخص وسمع كلامه. ترتب على تلك الرؤية وذلك السماع رجاء لشيء. ثم حصول ذلك الرجاء عقيب تلك الرؤية. وذلك السماع ليس باختيار الإنسان البتة بل هو حاصل سواء أراد الإنسان حصوله أو لم يرده. وإذا حصل ذلك الرجاء له. أولهه الطمع شاء أم أبى وهذا برهان قاطع على أن أفعال العباد مرتبة على ما في القلوب من الدواعي والصوارف. وأن تلك الدواعي والصوارف يترتب بعضها على بعض ترتبا اضطراريا. وذلك تحقيق القول بالقضاء والقدر.

فما أشرف كلام أمير المؤمنين رضى الله عنه في هذه المسألة وأما قوله رضى الله عنه: فإنه أمر بين أمرين. لاجبر ولا تفويض فتفسيره: هو أن الجبر أن يحدث الشيء على خلاف الإرادة. وههنا فعل الإنسان يحدث على وفق إرادته فلا يكون جبراً. ثم إن حدوث تلك الإرادة في قلب الإنسان ليس من الإنسان. وإلا. لافتقر إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل وهو محال. بل من الله تعالى. وإذا كان الأمر كذلك ثبت أنه لا تفويض. فثبت أن زبدة كلام العقلاء وحاصل أفكارهم ليس إلا ما أدرجه أمير المؤمنين – على بن أبى طالب رضى الله عنه – في هذه الألفاظ الموجزة النفيسة.

ثم يقول: ونظير هذه الكلمة في الجلالة ما نقل عنه عليه السلام أنه سئل عن التوحيد والعدل فقال: (التوحيد أن لا نتوهمه. والعدل أن لا نتهمه) وهاتان الكلمتان المختصرتان مشتملتان على جميع ما ذكره المتكلمون في تصانيفهم الطويلة. ولو شرعنا في شرحهما لطال الكتاب أ. هـ.

أخرج البخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته».

وأخرج البيهقى عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قيل يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قيل: ففيم يعمل العاملون؟

قال: كل ميسر لما خلق له.

وفى رواية ابن علية قال «أعملوا فكل ميسر».

إن كل ما يقع بالإنسان أو يحدث منه إنما هو بقدر الله عز وجل. ولذلك أمرنا أن نعمل ونهينا عن فعل أشياء إيمانا وليس لنا أن نبحث ونفتش في هذه المسألة بعقولنا. حتى لا نضل فنهلك ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ إن علماء السلف الذين نور الله قلوبهم بأنوار الإيمان يقررون ويؤكدون على ضرورة الإيمان بالقدر.

أخرج عبد الرزاق فى مصنفه: روى معمر عن قتادة عن الحسن البصرى قال: (من كذب بالقدر. فقد كذب بالقرآن).

وأخرج الطبرى فى التفسير عن خالد الحذاء أن الحسن قال فى هذه الآية: ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٩] قال: خلق هؤلاء لهذه. وهؤلاء لهذه.

وأخرج الطبرى فى التفسير عن منصور بن عبدالرحمن قال: كنت مع الحسن. فقال لى رجل إلى جنبه سله عن قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢] فسألته عنها فقال: ومن يشك فى هذا؟ ما من مصيبة بين السماء والأرض إلا فى كتاب من قبل أن تبرأ النسمة وأخرج الطبرى فى التفسير وأبو داود فى السنن عن قرة بن خالد قال: سمعت رجلا يسأل الحسن عن قول الله عز وجل: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] قال: خلقهم للاختلاف.

وأخرج أبو داود فى السنن: عن حماد بن سلمة عن حميدة قال: قال رجل للحسن يا أبا سعيد. من خلق الشيطان؟ فقال: سبحان الله. ومن خالق غير الله؟ الله خلق الشيطان. والله خلق الخير. والله خلق الشر. فقال الرجل: قاتلهم الله. كيف يكذبون على هذا الشيخ؟

وروى الآجرى فى الشريعة عن عاصم الأحول قال: سمعت الحسن يقول: من كذب بالقدر. فقد كذب بالحق مرتين: إن الله عز وجل قدر خلقا. وقدر أجلا. وقدر بلاء وقدر مصيبة. وقدر معافاة. وقدر معصية. وقدر طاعة. فمن كذب بشيء من القدر. فقد كذب بالقرآن.

وأخرج ابن أبى شيبة عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قال: نظرت فى بدء الأمر ممن هو. فإذا هو من الله. ونظرت على من تمامه. فإذا تمامه على الله. ونظرت ما ملاكه فإذا ملاكه الدعاء.

وروى الطبرى فى التفسير وأبو داود. أن سعيد بن جبير قال فى قول الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: كما كتب عليكم تكونون. وفريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة.

وروى الآجرى فى الشريعة والبيهقى فى الأسماء والصفات عن وهب بن منبه

قال : قرأت فيما قرأت من الكتب (إنى أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير وقدرته . فطوبى لمن قدرت الخير على يديه . وإنى أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الشر وقدرته فويل لمن قدرت الشر على يديه) .

وأخرج الإمام أحمد فى المسند عن نافع قال : بينا نحن عند ابن عمر قعود . إذ جاءه رجل فقال : إن فلانا يقرأ عليك السلام لرجل من أهل الشام . فقال ابن عمر بلغنى أنه قد أحدث حدثا . فإن كان كذلك . فلا تقرأ عليه السلام . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :« سيكون فى أمتى خسف ومسخ وهى فى الزندقية والقدرية » [ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى] .

وأخرج الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرطهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « إذا كان أجل عبد بأرض هيئت له الحاجة إليها حتى بلغ أقصى أجله . قبض » قال : فتقول الأرض يوم القيامة : (رب . هذا عبدك كما استودعت) [رواه الترمذى] .

وصد الله العظيم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] .

إن القدر سر من أسرار الله يجب علينا أن تؤمن به ولا تخوض فيه سئل الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه عن القدر فقال : إن الله أراد بنا أشياء وأراد منا أشياء . فما أراده بنا . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وما أراده منا سوف يسألنا عنه .

اللهم إيمان بك وبرسولك وتصديقا بكتابك وبسنة نبيك نؤمن بأن مقادير الأشياء بيدك . فلا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه .

* * *

الفصل الثالث

النبوات

لقد أرسل الله عز وجل رسلا وأنبياء كثيرين. وأوحى إليهم بشرعه وأمرهم بإبلاغه وبيانه وأيدهم بالمعجزات الباهرة. وكلهم من بنى آدم عليه الصلاة والسلام. بعثهم إلى الإنس والجن. وأوجب على من بعثوا إليهم أن يصدقوا بنبوتهم وأن ينصرونهم. وألزمهم بالأدب معهم واحترامهم وتوفيرهم. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال جل وعلا: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولقد بعثهم الله تعالى إلى عباده لأنه خلقهم لعبادته. ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

والنبوة أعم من الرسالة. فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا.

والفرق بينهم هو: أن الرسول مكلف برسالة لأمة معينة وله كتاب منزل. سواء أنزل عليه أو أنزل على رسول آخر سبقه أو معاصر له والنبى مكلف أيضاً بالتبليغ لكن من خلال رسالة رسول سابق عليه أو معه وليس صحيحا ما يقوله علماء الكلام: بأن

الرسول مأمور بالتبليغ والنبى مخير فى التبليغ. فكيف يصح هذا والعلماء أمروا بالتبليغ والعلماء دول الأنبياء روى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء».

فالعلماء وهم فى هذا الموقع. يجب عليهم التبليغ إذا طلب منهم ذلك. يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أليس هذا إذنا من الله تعالى وتكليفا للعلماء. وقد أوجب الله على الناس اللجوء إلى أهل العلم إذا أضطروا لذلك قال تعالى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النمل: ٤٣] وقال: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣].

هذه ويشترط فى النبى والرسول ما يلى:

١ - **الصدق**: فلابد أن يكون النبى صادقا فيما يبلغه عن الله عز وجل.

٢ - **الأمانة**: لابد أن يكون النبى أمينا على رسالة الله تعالى.

٣ - **التبليغ**: لابد أن يبلغ الناس كل ما أمر بتبليغه ولا يخفى منا شيئًا ولا يخص أحدا بتشريع دون الناس إلا بأمر ربه عز وجل.

٤ - **الفطانة**: لابد للنبى أن يكون ذكيا فطنا سريع البديهة. لأن الغباء فى العالم قد يورطه فما بالك بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد عصمهم الله تعالى من ارتكاب الذنوب والآثام كبيرها وصغيرها قبل النبوة وبعدها. لأنهم القدوة وأى جرح ينتاب أحدهم يصرف الناس عنه. كما أنهم لا يمرضون مرضا ينفر الناس منهم.

وقد أيدهم الله تبارك وتعالى بالمعجزات التى تدل على صدقهم فى دعواهم وكانت معجزات كل نبى من جنس ما اشتهر به قومه. ودائما تكون المعجزة عند الطلب والتحدى من أقوامهم. كالنار التى ألقى فيها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعصا موسى فى مواجهة سحرة فرعون. وتبع الماء من الأحجار فى مواجهة بنى إسرائيل. وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله على يدى سيدنا عيسى عليه السلام. وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين.

أما كرامات الأولياء فإن الله تعالى يظهرها على أيديهم رغما عنهم ولا يطلبونها يقول سيدى أحمد الدرديرى فى شرح الخريدة: (لو خير الولى بين ظهور الكرامة وعدم ظهورها ما اختار ظهورها) ويظهر الله تعالى الكرامة لتثبيت الولى فهل دليل ولاية والاطمئنان الناس من حوله. ولذلك قيل: كرامات الأولياء معجزات للانبياء لأنه لولا اتباع الأولياء للأنبياء اتباعًا حسنًا. ما أظهر الله على أيديهم الكرامة التى تدل على صدق ولايتهم. وهى بشرى لهم فى الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

وقد يظهر الله على يد الفاسقين ما يشبه الكرامة استدراجا لهم وكذلك ما يظهره الله تعالى على يد السحرة. فكل هذه الأمور خارقة للعادة.

فالمعجزة: دليل النبوة والرسالة.

والكرامة: دليل الولاية وبشرى الولى.

والاستدراج: لكى يتمادى الفاسق فى عناده وضلاله.

والسحر: ليظل الساحر فى فتنته وكفرياته.

قال الله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

هذا وقد أوجب الله ورسوله ﷺ علينا الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين. وجعل الله ذلك ركنا من أركان الإيمان. فمن لم يصدق بنبوتهم أو بنبوة أحدهم وأنكرها عليهم عامدا بعد علمه بنبوتهم فهو كافر بالله ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفى حديث جبريل عليه الصلاة والسلام المروى فى الصحيحين سأل سيدنا جبريل سيدنا رسول الله ﷺ: ما الإيمان. قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) رواه الشيخان واللفظ المسلم.

خاتم المرسلين ﷺ

سيدنا محمد ﷺ ختم الله تعالى برسالته الرسالات وبكتابة الكتب المنزله وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس.

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد شهد الله عز وجل له بالنبوة وبالرسالة وأشهد بذلك ملائكته فقال تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً * مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾ [الفتح: ٢٨، ٢٩].

فهو ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

لذلك أوجب عليهم طاعته فقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

والرسول ﷺ كان ومازال وسيزال نعمة الله الكبرى ومعجزته العظمى فيقول له: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبين له أن قومه - رغم تصديقهم له - كذبوا ما جاءهم به فقال له: ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: قال أبو جهل للنبى ﷺ، إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به. فانزل الله تعالى الآية[1].

وكان رسول الله ﷺ حسن الخلق والخلق: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

روى مسلم عن سعد بن هشام قال: دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبويها فسألته عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن).

ولقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع الأنبياء صلوات الله عليهم إن أدركوا رسول الله ﷺ أو أدركه أحدهم ليؤمنن به ولينصرنه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

لذلك قال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لأمته ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

ولقد أيده البارى سبحانه وتعالى بالمعجزات الباهرات وبالآيات لبينات أظهر الله تعالى على يديه ﷺ الكثير من المعجزات المادية فى مواجهة قومه من المؤمنين والمشركين منها: تسليم الحجر عليه. وحنين الجذع إليه. وتفجير الماء من بين أصابعه. وتكثير الطعام. وغيرها من المعجزات المادية التى ملئت بها كتب السيرة ودلائل النبوة وكتب الحديث.

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإما كان الذى أو تيته وحيا أوحاه الله فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

فرسول الله ﷺ لا يحصر معجزاته فى القرآن وإنما هو يخبر بأنه أوتى من المعجزات المادية مثل ما أوتيه الأنبياء من قبل.

وروى عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن».

---

(١) كتابنا: فضائل النبى ومعرفة قدره: ٦٩.

وقال الإمام الشافعي رضى الله عنه: ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمد ﷺ. وقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى. فقال: أعطى محمداً حنين الجذع فهذا أكثر من ذلك» رواه البيهقى فى مناقب الشافعي.

وكان من معجزاته الباهرات: انشقاق القمر والإسراء والمعراج مما سجله القرآن الكريم ومعجزته الكبرى الخالدة الباقية إلى قيام الساعة هى: القرآن الكريم. قال أهل العلم القرآن فى مجموعة معجزة كبرى. وكل آية فيه معجزة وحدها. فالقرآن معجزة تحدى الله بها العرب فى بيانه وفصاحته. وتحدى به الأمم الأخرى فى شرائعه وأحكامه وكما اصطفاه الله تعالى من أعلى سلالات البشر. اختار له خير أمة أخرجت للناس. وجعل الله تعالى بينه وبين أمته ألفة ومحبة. ولقد مات وهو راض عن أصحابه. ولقد عاشت وتعيش أمته على محبته ووقاره ﷺ ولقد شرفه الله تعالى بالشفاعة العظمى فى يوم العرض على الله تعالى وهذا له خاصة دون غيره من الأنبياء والمرسلين. ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة. فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة. فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا».

وروى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً. فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى. وأعطيت الشفاعة. وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول. ثم صلوا على. فإن من صلي على صلاة. صلى الله عليه بها عشراً. ثم سلوا الله لى الوسيلة. فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله. وأرجو أن أكون هو. فمن سأل الله لى الوسيلة. حلت له الشفاعة».

وروى أحمد ومسلم والترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر. وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى. وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

وهذا وعد الله تعالى لنبينا ﷺ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال سيدى على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم : (فإن محمداً ﷺ لا يرضى حتى يُخرج الله له آخر واحد من أمته من النار) اللهم ارزقنا محبته وطاعته وارزقنا شفاعته . آمين[1] .

ومما أعطيه نبينا ﷺ فى الجنة . الحوض والكوثر . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ .

وروى البخارى عن جندب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا فرطكم على الحوض » . الفرط : هو الذى يتقدم الواردين ليهيىء لهم ما يحتاجون

لذلك أوجب الله علينا : محبته كما أوجب علينا طاعته . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] وقال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وجعل الله طاعة رسوله طاعته عز وجل . فقال : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] .

وأوجب علينا . تعظيمه وتوقيره . قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح : ٨ ، ٩] .

وأوجب علينا كثرة ذكره والشوق إلى لقائه والصلاة عليه عند ذكره . قال : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ وأوجب علينا حب القرآن وحب السنة الشريفة . فنحل حلالها ونحرم حرامها قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ

---

(١) راجع موضوع الشفاعة فى كتابنا : فضائل النبى ﷺ ومعرفة قدره ١٦٣٤ - ١٧١ .

(٢) قال الذهبى : هذا الحديث طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضا لأن رواه ليس فيهم متهم بالكذب .

عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣] وقال تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾** [الأنفال : ٢٧] .

وتستحب زيارته وتجب لمن دخل مدينته الشريفة .

روى الدار قطنى والبيهقى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى »[٢] .

وروى البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « من زار قبرى حلت له شفاعتى » يقول الإمام السبكى : وهذا الحديث يقوى الأول وعند الطبرانى فى الكبير والصغير عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ قال : « من جاءنى زائرًا لا تحمله حاجة إلا زيارتى كان حقا علىَّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة » ورواه الحافظ ابن السكن فى كتابه (السنن الصحاح) .

وروى أبو الفتوح سعيد اليعقوبى فى جزئه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حى . ومن زارنى كنت له شهيداً أو شفيعًا يوم القيامة) .

وروى ابن أبى الدنيا عن أنس بن مالك رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : (من زارنى بالمدينة كنت له شفيعًا وشهيداً يوم القيامة) .

فهذه الأحاديث وغيرها كثير تدعونا لزيارته ﷺ وأن في الزيارة الخير الكثير . لذلك يتوافد المسلمون طوال العام على مدينة رسول الله ﷺ وفى مقدمتهم العلماء للتشرف بزيارة النبى ﷺ والصلاة فى مسجد الشريف . وهذه من حقه ﷺ على أمته .

ومن مظاهر توفيره وإعلان محبته أن نصله فى أهله وذوى رحمه ﷺ وسلم يقول الله تعالى : **﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ﴾** .

وروى الواحدى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رجلاً قال يا رسول الله من هم هؤلاء الذين أوجب الله علينا محبتهم؟

قال : (على وفاطمة وابناهما) .

وروى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : (أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى بمحبتى) .

وقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه : (ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته) .

وقال أيضًا : (لصلة قرابة رسول الله ﷺ أولى عندى من صلة قرابتى) فهذه كانت بعض ما يجب علينا لرسول الله ﷺ . لذا يجب علينا أن نلتزم بها لنكون دائمًا فى معيشة ونحل فى موطن محبته . فنظفر بشفاعته فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

قال الإمام الجنيد رحمه الله ومن بعده سيدى أبى الحسن الشاذلى رحمه الله (لئن غاب عنى رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسى من المسلمين) .

(مسألة) جواز التوسل برسول الله ﷺ التوسل إلى الله تعالى والاستغاثة والتشفع بالنبى ﷺ وبسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين وكذا الملائكة وأتباعه من المؤمنين الصالحين . أمر جائز ومشروع ومعروف من فعل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومن فعل الصحابة والتابعين والعلماء العاملين وعموم المسلمين شرقًا وغربًا . ولم ينكر ذلك إلا حفنة من المسلمين أنكروا عدم جواز التوسل بالذوات الصالحة واتهموا كل من يفعل ذلك بالشرك والضلال . وقالوا يجوز التوسل برسول الله ﷺ إلا في حياته فقط . وما علموا أن رسول الله ﷺ وسائر الصالحين ما فقدوا شيئًا من هبة الله تعالى لهم بالوفاة . فالرسول ﷺ باقى على ما هو عليه والذى توقف هو التبليغ فقط . والولى باقى على ولايته فى برزخه والنصوص فى جواز التوسل كثيرة .

وقد ذكرنا هذه المسألة مفصلة فى كتابنا : قضايا إسلامية معاصرة . فليراجع . لأنا خشينا بذكرها هنا الإطالة والله ولى التوفيق .

* * *

الفصل الرابع
الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو اليوم الذى لا يوم بعده. ويبدؤ من الموت وحتى يفصل الله تعالى بين عباده. وينادى المنادى: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت.

فهذا اليوم بما يدور فيه من أحداث يجب على العبد المكلف الإيمان به والتصديق بما يجرى فيه من أحداث ووقائع لأنها كلها أمور ثابتة بالنص الصحيح الصريح من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

والإيمان باليوم الآخر وما فيه ركن من أركان الإيمان وصفة مميزة للمؤمنين المتقين.

قال تعالى: ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

فالإيمان به والتصديق بما يقع فيه من وقائع وأحداث واجب. وإنكار ذلك وجحوده كفر لإنه إنكار للنص القرآنى وصحيح السنة.

(١) نتلوا من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥] وقال عز وجل: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وقال جل وعلا: ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [الأعراف: ٤٣] ومما نزل فى عذاب القرب ونعيمه نتلو قول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ**

وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذلك بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣، ٩٤].

وفى قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١] وقال عز وجل فى قوم فرعون ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

وفى قوم نوح قال ربنا عز وجل: ﴿ أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾ والفاء للترتيب والتعقيب فالله سبحانه وتعالى: أماتهم بالغرق وبعد موتهم أدخلهم النار وهذا فى قبورهم.

وقال عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والبعث وهو: إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم للحساب والجزاء. فيه: قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] وقال تعالى: ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة.... ﴾ إلى آخر سورة يس وقال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ *

فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٤٧ – ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤ – ٦].

وفي القيامة وأماراتها يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ [الزخرف: ٥٧ – ٦١].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢] وقال جل وعلا: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨ – ٧٠].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ إلى آخر سورة الزلزلة.

وقال عز وجل: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١، ٢].

وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة: ١٣ – ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨ – ٧٢].

هذا ويحشر الناس كما قال ربنا عز وجل في سورة الواقعة: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ نقرأ من سورة الواقعة الآيات ٧ إلى ٧٤

(٢) ومن السنة الشريفة الصحيحة نقرأ :

روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » وفى صحيح مسلم : أنه كان يدعو بهذا الدعاء فى الصلاة بعد تمام التشهد الأخير وقبل السلام . روياه من حديث أبى هريرة وعائشة وروى البخارى أن النبى ﷺ قال : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى . إن كان من أهل النار فمن أهل النار . فيقال له . هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة » رواه ابن عمر رضى الله عنهما .

وروى البخارى أيضًا أن النبى ﷺ قال لما مر بقبرين « إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبر . ثم قال : بلى . أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر — أو قال : لا يستبرئى من بوله » .

وأخرج البخارى وابن حبان عن البراء بن عازب رضى الله عن النبى ﷺ قال : (المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا الله وعرف محمداً فى قبره . فذلك قول الله عز وجل — يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدينا وفى الآخرة) .

وروى أبو داود الطيالسى والترمذى من حديث شعبة . قال رسول الله ﷺ : (إن المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فذلك قول الله) وذكر الآية السالفة . ورواه البيهقى فى الاعتقاد .

وروى البيهقى بسنده المتصل إلى أبى هريرة رضى الله عنه . أن النبى ﷺ قال : (إن الميت إذا وضع فى قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فإن كان مؤمنا . كانت الصلاة عند رأسه . وكان الصيام عن يمينه . وكانت الزكاة عن يساره . وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه . فيؤتى من قبل رأسه . فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن يمينه . فيقول الصيام : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى عن يساره فيقول الزكاة : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلى مدخل . فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب ، فيقال له : هذا الرجل . ماذا تقول فيه؟ فيقول دعونى حتى أصلى فيقولون : إنك ستفعل . أخبرنا عما نسألك عنه قال : عما تسألوننى؟ قالوا : ماذا تقول فى هذا الرجل الذى فيكم؟ وبماذا تشهد عليه؟ فيقول : أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله .

فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من أبواب الجنة . فيقال له : أنظر إلى مقعدك منها وما أعد الله - عز وجل - لك فيها . فيزداد غبطة وسرورا . ثم يفسح له قبره سبعون ذراعا . وينور له . ويعاد الجسد كما بدئ ويجعل نَسَمُه من النسيم الطيب . وهى طائر يعلق فى شجر الجنة » .

قال محمد : وسمعت عمر بن الحكم بن ثوبان قال : « فينام نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله » .

ثم عاد إلى حديث أبى هريرة قال : « وهو قول الله عز وجل : - يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين - وإن كان كافراً . أتى من قبل رأسه فلم يوجد شىء . ثم أيتى من عن يمينه فلم يوجد شىء ثم أتى عن يساره فلم يوجد شىء . ثم أتى من قبل رجليه فلم يوجد شىء . فيقال له اجلس . فيجلس خائفا مرعوبا فيقال له : أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم . أى رجل هو؟ وماذا تقول؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول : أى رجل؟ فيقال : الذى كان فيكم . فلا يهتدى لا سمه حتى يقال له : محمد . فيقول : ما أدرى . سمعت الناس قالوا قولا . فقلت كما قال الناس فقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من أبواب النار ، فيقال ذلك مقعدك من النار وما أعد الله لك فيزداد وحسرة وثبورا . ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : ذلك كان مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيها لو أطعته . فيزداد حسرة وثبورا ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » .

قال أبو هريرة : فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

رواه سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو . وزاد فيه « ثم يفتح له من قبل النار فيقال : انظر إلى منزلك وإلى ما أعد الله لو عصيت . فيزداد غبطة وسرورا » .

وروى محمد بن إسحاق بن راهويه بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عمر . كيف أنت إذا كنت فى أربع من الأرض فى ذراعين . فرأيت منكراً ونكيراً؟ قال : يا رسول الله . وما منكر ونكير؟ قال : فتانا القبر . أبصارهما كالبرق الخاطف . وأصواتهما كالرعد القاصف معهما مرزبه . لو اجتمع عليها أهل منى ما استطاعوا رفعها . هى أهون عليهما من عصاى هذه فامتحناك . فإن

تعايت أو تلوّيت ضرباك بها ضربة تصير بها رماداً » قال يا رسول الله. وإني على حالتي هذه؟ قال: « نعم أرجو أكفيكهما » [أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وفي الاعتقاد والسيوطي في شرح الصدور ونسبه لأبي داود والحاكم في التاريخ].

وأخرج أحمد النسائي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها فذكرت لها عذاب القبر. فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر.

قالت عائشة: فسألت النبي ﷺ عن عذاب القبر. فقال النبي ﷺ: « عذاب القبر حق ».

قالت عائشة: فما سمعته يصلي صلاة بعد إلا تعوذ فيها من عذاب القبر وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يبكي كثيراً إذا مر بالقبور فسئل عن ذلك فقال: (إذا كان ما في القبر هينا فما بعده أهون منه).

وأخرج أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا فرغ أحدكم من صلاته فليدع بأربع ثم ليدع بما شاء: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر. وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال) وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن. ثم ذكر ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

وروى أحمد والشيخان أن النبي ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ».

وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: « إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق. وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان. والدجال. ودابة الأرض. ويأجوج ومأجوج. وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعرة – من أقصى عدن – عدن ترحل الناس. ونزول عيسى ابن مريم).

وروى مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة. ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض من في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته. حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه. فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً. فيتمثل لهم الشيطان. فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فماذا تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك

دارّ رزقهم. حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا – الليث: صفحة العنق – وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. قال: فيصعق ويصعق الناس. ثم ينزل مطر كأنه الطل. فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: أيها الناس. هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون. ثم يقال: أخرجوا بعث النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة. وتسعة وتسعين. فذلك يوم يجعل الولدان شيبا. وذلك يوم يكشف عن ساق».

وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه. وعن علمه وما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسده فيما أبلاه» ورواه مسلم.

أن السيدة عائشة رضى الله عنها لما ذكرت النار بكت. فقال لها النبى ﷺ ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال: أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد. أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز» [رواه أبو داود وإسناد حسن].

وأخرج البخارى ومسلم عن يحى بن عمر رضى الله عنه قال: قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله).

وأخرج أحمد البخارى ومسلم وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعزتهم. قال الله عز وجل للجنة: إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى. وقال للنار: إنما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى. ولكل واحدة منكما ملؤها».

والأحاديث كثيرة فى هذا الباب مما لا يتسع المجال لسرده.

وقد ثبت من النصوص التى سقناها ضرورة وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه.

* * *

الفصل الخامس

مسائل وأحكام

(مسألة) : وصف علماء الكلام البارى عز وجل بصفة (القدم) .

(الحكم) : الذى أجمع عليه سلف الأمة وخلفها أن الله سبحانه وتعالى هو ﴿ **الأول والآخر** ﴾ أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء . أما صفة (القدم) فإنها لم ترد فى القرآن الكريم إلا مرة واحدة فى وصف عرجون النخل كما أنها لم ترد فى الحديث المروى عن الأسماء الله الحسنى . ولم تذكر إلا في رواية عبدالعزيز بن الحصين وقد ضعفه يحيى بن معين والإمام البخارى وحديث الآحاد إذا كان ضعيفا لا يعمل به . لا فى الفروع ولا فى الأصول . وقد أجاز العلماء العمل به فى الفضائل من الترغيب والترهيب .

كما أنه من المعلوم أن لفظ القديم يتضمن معنى الزمن . والله عز وجل لا يحيط به زمان ولا مكان لأنه هو الذى خلق الزمان والمكان ومستحيل أن يحيط المخلوق بالخالق فهذه الصفة مما نقله علماء الكلام عن الفلاسفة . والله أعلم .

(مسألة) : ذكر علماء الكلام أن من صفات الله . صفة (الوجود) .

(الحكم) : قد ثبت لله تعالى صفات : الحى القيوم والأول والآخر والظاهر والباطن . فهل من يتصف بهذا ليس موجوداً . ومتى غاب ربنا عز وجل حتى نبحث عن وجوده . يقول ابن عطاء الله السكندرى فى متاجاته : (إلهى كيف يستدل عليك من هوئى وجوده محتاج إليك . متى غبت حتى نبحث عنك) .

وهذه الصفة التى ذكروها أفرزتها عقولهم تأثراً بالفلاسفة ومعلوم ضرورة أن أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفية وليست محل اجتهاد وحوس وتخمين .

(مسألة) لقد أنز الله تعالى فى القرآن الكريم آيات يتحدث بها عن نفسه عز وجل . وبعض الناس يقولون : نؤمن بها على ظاهرها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه فيقولون : إن لله تعالى : يد اليست كأيدينا ونزولا ليس كنز ولنا وهكذا ويدعون أن هذه صفات لله عز وجل .

(الحكم) ليس كل ما نزل فى القرآن الكريم من آيات تتحدث عن الله عز وجل

صفات له تعالى. مثلا: يقول الله تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] وقوله: ﴿ إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ [السجد: ١٤] وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] وقوله: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

فهل يجوز لعاقل أن يقول: « ينسى لا كنسياننا » «ويخشى لا كخشيتنا » إن الآيات التي تتحدث عن الله تعالى مثل:

قوله تعالى: ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ وقوله ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ وقوله: ﴿ **فإنك بأعيننا** ﴾ وقوله: ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾ وقوله: ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ وقوله: ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** ﴾ والاحاديث المشابهة كقوله ﷺ (إن الله خلق آدم على صورته) وقوله فى الحديث القدسى: (يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى، قال يا رب وكيف أعود لا وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده...) الحديث.

وأقول إن علماء الكلام سلفهم وخلفهم قد وقعوا فى حيرة. لأن هذه الآيات لم يرد لها ذكر فى أسما الله الحسنى والصفات مشتقة من الأسماء فاختلفوا: بعضهم أول هذه الآيات لإبهام الظاهر معنى التشبيه والبعض فوض الأمر لله وسكت والفريق الثالث نفى ثبوتها كصفاتلله تعالى.

أما دعاة السلفية هذا العصر. إن رأيهم التشبيه والتحديد أقرب وقالوا: نؤمن بها على ظاهرها - والظاهر معلوم - من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل. إن الإيمان بالظاهر ينفى باقى العبادة (من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل) ثم يرون الآية ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ إننا يؤمنون بظاهر هذه الآيات. ويزيد الأمر وضوحًا: قولهم إن لله نزولا ليس كنزولنا واستواء ليس كاستوائنا ويد ليست كايدينا وعينا ليس كاعيينا. وهكذا. فهذه قول صريح فى التجسيم وتحديد الجهة والمكان وكتب رؤسائهم مليئة بعبارات وعقائد نستحى أن نذكرها. لقد قالوا فى صراحة: إن الله تعالى جالس على عرشه وأن العالم قديم.. إلى آخر معتقداتهم والحق الذى يجب أن نعلمه: أن كل ماعدا الله تعالى مخلوق لله عز وجل. ويستجيل قولا واحدا: أن يحيط المخلوق بالخالق. والزمان والمكان مخلوقات لله عز

وجل لذا يجب على المسلم أن يؤمن بالنص كما ورد. وأن يتلوه كما أمر. فإذا كان هناك بيان لرسول الله ﷺ وجب اتباعه أو تأويل للصحابة أخذنا به وإلا نقول ما قاله الإمام الشافعى رضى الله عنه: نؤمن بما ورد عن الله على مراد الله وبماروى عن رسول الله على مراد رسول الله. والله ولى المتقين.

(مسألة): ما حكم مرتكب الكبيرة. أهو مؤمن عاصى أم كافر ضال.

(الحكم): مرتكب الكبيرة كفره الخوارج. وقال المعتزلة هو فى منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر ولكنه يخلد فى النار.

واختلف أهل السنة. فقال جمهورهم إن ارتكب الكبيرة جاحداً ومنكراً لمشروعيتها فهو كافر بإجماع الأمة يستتاب وإلا قتل لردته.

وأما إن تركها كسلاوتهاونا. فهو مؤمن عاص يستتاب. وإلا قتل حدا لا كفرا.

قال الإمام النووى فى شرح مسلم[1]: وأما تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه. وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف فيه العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر. بل يفسق ويستتاب. فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزانى المحصن ولكن يقتل بالسيف. واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وبقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» وما جاء فى معناه. أ. هـ.

ولكن سلفية هذا العصر يكفرونه مطلقا سواء فعلها منكر المشروعيتها أو تكاسلا وتهاونا وهم بذلك قد اتفقوا مع الخوارج فى الرأى هذا ويؤيد صريح بالقرآن صحيح السنة رأي جمهور المسلمين من السلف والخلف.

(مسألة): ما حكم التوبة من الذنوب والمعاصى؟

(الحكم): تجب التوبة من المعاصى صغيرها وكبيرها فالصغائر تكفرها الطاعات إذا ما اجتنبت الكبائر. وكبار الذنوب إذا كانت مما يجب فيه الحد. فإقامة الحد عليه

---

(١) ٢/ ٧٠.

توبة لأن الله تعالى أكرم من أن يثني العقوبة على عبده. وإن كانت مما لا يجب فيه الحد فالتوبة منه تتحقق بشروط أربعة :

١ – الإقلاع عن الذنب.

٢ – الندم على مافات.

٣ – العزم على عدم العود إلى الذنب مرة أخرى.

٤ – إعادة الحقوق إلى أصحابها. أو طلب مسامحتهم.

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا** ﴾.

(**مسألة**) : ما حكم الخلافة في الإسلام؟

(**الحكم**) : إن مسألة الخلافة ليست من مباحث العقيدة وإنما هي من مسائل الفقه الإسلامي. وإن كان بعض علماء الكلام يتحدثون عنها في مصنفاتهم. ولم يدرجها ضمن مسائل العقيدة إلا الخوارج والشيعة.

(**مسألة**) : هل التصوف الذي يقول به بعض المسلمين من الإسلام؟

(**الحكم**) : التصوف ليس بدعا في الإسلام. لأنه موجود في كل الأديان السماوية والوضعية. فاليهودية فيها تصوف والمسيحية فيها تصوف والبوذية فيها تصوف والكونفوشية والمزدكية والهندوسية وغيرها كلها أديان فيها تصوف. والمسلمون لم يبتدعوه. ولا أدري سببا للهجوم على صوفية المسلمين. إن خطأ بعض الأوعياء ممن ينشبون للصوفية لا يجوز أن نحاسب التصوف في الإسلام. فلكل طائفة شواذ. لأنهم ليسوا جادين في انتسابهم لطائفتهم.

إن التصوف في الإسلام قائم على الكتاب والسنة وبغيته الوصول إلى مقام: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. إنه منهج عبادة قائم على إخضاع النفس لربها الذي خلقها وهو عبادة الخواص وخواص الخواص الذين يخلون قلوبهم من كل شيء إلا من ربهم عز وجل ويعيشون في مراقبة دائمة للحق تبارك وتعالى يقول الإمام الجنيد : (علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) ويقول : (من لم يقتفي أثر الرسول ﷺ فليس منا).

فالتصوف ليس مقالات تقرأ ولا شعارات ترفع وإنما هو عبادة ومجاهدة إن من يقرأ حديث جبريل عليه الصلاة والسلام ويتأمله جيداً سوف يعرف أن المسلمين موزعون على مقامات ورتب الإسلام والإيمان والإحسان كل حسب قدراته وجهده والناس متفاوتون. إن إيمان أبي بكر رضي الله عنه ليس كإيمان أحد من الناس. ولذا

روى فى الحديث (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفى كل خير) تأمل : (وفى كل خير) .

فلا ينكر التصوف إلا من لم يعرفه ويعاشره . والناس أعداء ماجهلوا إن التصوف منهج تعبدى يسعه العلم والعبادة فى الإسلام والله الموفق .

(مسألة) : ما الذى يهدم الإيمان والإسلام؟

(الحكم) : الذى يهدم الإيمان والإسلام والعياذ بالله تعالى أشياء كثيرة . هى :

الكفر الصريح ، الشرك ، النفاق والأخير ان إذا كانا فى العقيدة وإنكار أى أمر معلوم من الدين بالضرورة . كمن ينكر مشروعية الصلاة أو ينكر حرمة الزنا والسرقة . وغيرهما ، الاستهزاء بالله تعالى ورسوله الاستهزاء بشريعة الإسلام أو بأى شعيرة من شعائر الدين ، ومن يعتقد تفضيل أى دين على الإسلام أو مساوى له . والسجود لوثن أو عبادة غير الله تعالى . وهكذا .

(مسألة) : ما حكم زيارة القبور وهل هى زيارة مشروعة؟

(الحكم) : زيارة القبور على اختلاف مستوياتها زيارة مشروعية روى فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة) .

فزيارة القبور عبادة مشروعة للرجال والنساء . ويثاب عيها الزائر إذا ابتغى بها وجه الله عز وجل .

فزيارة الرسول ﷺ أمر بها كما سبق بيانه وتسن زيارة قبور الصالحين والعلماء والشهداء والأبوين والأصدقاء والأولاد وذوى الأرحام .

وقد كان رسول الله ﷺ يزور قبور أصحاب ويدعو لهم وينبغى أن يدخل الزائر على أهل القبور مسلمًا كما علمنا رسول الله ﷺ : إذا زرتم القبور فقولوا : (السلام عليكم عباد الله من المؤمنين والمسلمين . أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية) .

(مسألة) : بيان فضل الصحابة رضى الله عنهم؟

(الحكم) : صحابة رسول الله ﷺ هم الخيرة المصطفاة لصحبة خير الأنام سيدنا محمد ﷺ . روى فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وقال : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

فضلهم ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق**

أيدهم ﴾ وقال : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ﴾ .

وأفضلهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة رضى الله عنهم . ثم المهاجرون ثم الأنصار ثم أهل بدر . ثم سائر الصحابة حسب طبقاتهم . ثم التابعون لهم بإحسان رضوان الله عليهم ثم الأئمة والأعلام ثم باقي علماء الأمة ثم الصالحون ثم الشهداء ثم عوام الأمة وصدق الله العظيم ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ . والله أعلم .

(**مسألة**) : ما حكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

(**الحكم**) : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية قال الله تعالى :

﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وفى الحديث : (لتأمرن بالمعروف والتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن ينزل بكم العذاب) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يكون حسبة لله تعالى . وهو وسيلة تقويم وعلاج للمجتمع المسلم . والله أعلم .

* * *

الختـــام

كانت رحلة شاقة اعترضاتها مصاعب عديدة فى بحر عالية أمواجه عاصفة رياحه. ولكن كانت عناية الله ورعايته أقوى من ذلك كله. فشملنى بعطفه وأكرمنى بمعونته. فخضت هذا البحر الخضم وكلى ثقة ورجاء فى معونة الله تعالى.

لقد كانت مسيرة مباركة فى رحاب الكتاب والسنة أطلب فيها التعرف على عقيدتنا العظيمة فى كتاب الله تعالى وفي سنة نبينا ﷺ بعيداً عن فكر المتكلمين والفلاسفة.

وأرجو أن يكون قد تحقق لى ذلك فإن فى ذلك سعادتى لأنى أكون بذلك قد حققت – بفضل الله تعالى – أمنيتى. لأن كنت دائمًا أعانى ولم أكن مستريحا ولا سعيدا بمنهج المتكلمين. هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم وأتعبوا من جاء من بعدهم. وفرقوا كلمة الأمة. وأشعلوا نيران الصراع بين طوائفها المتعددة والمختلفة.

وهذه دعوة إلى أولى الأمر فى مؤسسات العمل الإسلامى أن يعبدوا النظر فى الكتب والمؤلفات المصنفة فى علم العقيدة لتقضى على تلك الخلافات فى مسائل العقيدة التى قد اصطلى بنارها شباب الأمة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ منه فى يوم الأربعاء (فجراً) أول جمادى الثانية ١٤٢٤هـ الموافق ٣٠ من يوليو ٢٠٠٣م.

* * *

أهم المراجع

١ – القرآن الكريم .
٢ – تفسير القرآن للطبرى والقرطبى والرازى وابن كثير .
٣ – فتح البارى ابن حجر العسقلانى .
٤ – صحيح مسلم شرح الإمام النووى .
٥ – فتح المبين بشرح الأربعين ابن حجر الهيثمى .
٦ – سنن أبو داود / الترمذى / النسائى .
٧ – الموطأ الإمام مالك .
٨ – التمهيد ابن عبدالبر .
٩ – المقدمة ابن الصلاح .
١٠ – الإبانة الكبرى ابن بطه العكبرى .
١١ – احياء علوم الدين الإمام الغزالى .
١٢ – الاعتقاد الإمام البيهقى .
١٣ – الأسماء والصفات الإمام البيهقى .
١٤ – الإرشاد الإمام الجوينى .
١٥ – العقيدة النظامية الإمام الجوينى .
١٦ – مقالات الإسلاميين الإمام الأشعرى .
١٧ – الإبانة الإمام الأشعرى تحقيق وتعليق د . فوقية حسين .
١٨ – بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية .
١٩ – منهاج المسلم أبو بكر الجزائرى .
٢٠ – موارد الظمآن المؤلف

٢١ – الإمام الشافعى والفكر السلفى المؤلف .
٢٢ – قضايا إسلامية معاصرة المؤلف .
٢٣ – الفرق الإسلامية بين الفكر والتطرف حسن صادق
٢٤ – حاشية الباجورى على السنوسية الشيخ إبراهيم الباجورى .
٢٥ – شرح التفتازانى على العقائد النسفية سعد الدين التفتازانى .
٢٦ – رفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزى تعليق : حسن السقاف .
٢٧ – الشريعة الآجرى .
٢٨ – التوحيد ابن حزيمة .
٢٩ – السنة اللالكائى .
٣٠ – الاشارة إلى مذهب أهل الحق أبو إسحاق الشيرازى تحقيق وتقديم د . محمد السيد الجليند .
٣١ – حوليات كلية الدعوة/ مجلة الأزهر/ مجلة منبر الإسلام .

* * *

الفهـــرس

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢١٤٠٩ /٢٠٠٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 225 - 198 - 1